جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا

بسم الله الرحمن الرحيم

من بلاغة الأمر عند "زادة" و "الشهاب" في حاشيتيهما على تفسير البيضاوي

الدكتور
دسوقي عبد المعز محمد محمد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا
٢٠١٤م

مقدمة

الحمد لله الذى جعل القرآن الكريم نورا وضياء يهتدى بهديه ويستضاء به،والصلاة والسلام على معلم الناس الخير،وأفصحهم على الإطلاق،وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعـــد

فالبلاغة القرآنية — رغم ماصيغ منها من دراسات وبحوث — سـيظل أعلاهـا مثمـرا وأسـفلها مغدقا،تحتاج إلى جهود الدارسين لإماطة اللثام عن خصائص النظم القرآني، وأساليبه الثرة البليغة.

وأسلوب الأمر- أحد الأساليب الإنشائية — من أساليب التعبيرالذى اصطفاه القرآن الكريم مع غـيره من الأساليب لتثبيت منهجه فى الدعوة إلى الله.

ومن هذا المنطلق أردت أن يغمرنى شرف البحث فى كتاب الله خدمة وبركة،فكان موضوع بحثـى" من بلاغة الأمرعند"زادة"و"الشهاب" فى حاشيتيهما على تفسير البيضاوي"؛لأعيش فى رحاب القرآن الكريم من ناحية، وأرفل فى جنبات حواشى العلماء وتفاسيرهم من ناحية أخرى، بغية الوقوف علـى الأسرارالبلاغية لأسلوب الأمرعندهما،وكذلك التعرف على مواطن الاتفاق والاختلاف لديهما.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتى فى مقدمة،وتمهيد،ومبحث واحد عنوانه: "المعـانى البلاغيـة للأمرعند زادة والشهاب فى حاشيتيهما على تفسير البيضاوي"، ثم خاتمة تضمنت أهم نتائج البحث، تلتها المصادروالمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

المقدمة:

ذكرت فيها قيمة وأهمية الموضوع وسبب اختياره.

التمهيد:

وجعلته للحديث عن كل من البيضاوي،وزادة،والشهاب،ثم الحـديث عـن أسـلوب الأمركأحـد الأساليب الإنشائية الطلبية. مبحث: من المعانى البلاغية للأمرعند زادة والشهاب، فى حاشيتيهما على تفسير البيضاوي. وتضمن معانى: الإباحة، والتسوية، والتخيير، والوعيد والتهديد، والتخلية، والدعاء، والدوام، والتسخير والتكوين، والتعجيز. ومن المعانى السابقة للأمرما ورد مستقلا بنفسـه، ومنـها ماجاء مصحوباً بغيره من المعانى، وقد يرد الأمر محتملا أحد معنيين وهكذا.

الخاتمة:

وذكرت فيها أهم النتائج التى توصل إليه البحث، ثم ذكرتُ أهم مصادر البحث ومراجعه، ثم فهرس للموضوعات. وآمل أن يكون هذا البحث لبنة جديدة في صرح الدرس البلاغي.

"... عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا،رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَاوَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُالْفَاتِحِينَ"

والله ولىّ التوفيق

تمهيـــد

وفيـــه أربعة مطالب:

المطلب الأول:الحديث عن البيضاوي.

المطلب الثاني:الحديث عن شيخ زادة.

المطلب الثالث:الحديث عن الشهاب الخفاجي.

المطلب الرابع:الحديث عن أسلوب الأمر.

المطلب الأول:الحديث عن البيضاوي

نسبه،ونسبته،ولقبه:

هوعبدالله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن على البيضاوي.وكان يكنى بأبي الخـير، ويلقب بناصر الدين ويعرف بالقاضى(١).ونسب إلى المدينة البيضاء- بفتح الباء- وهى مدينة قـرب شيراز ببلاد فارس،قيل سميت البيضاء؛لأن لها قلعة بيضاء تبين مـن بعـد، وكـان اسمهـا فى أيـام الفرس"دَرِإسفيد"فعربت بالمعنى(٢)ولقب البيضاوي بالشيرازي نسبة إلى شيراز بكسر الشين ، وهـى من أعظم مدن فارس،حيث ولد فى إحدى مدنها، وترعرع فيها، وتقلد القضاء فيها.هذا وقد ذكـر البيضاوي نسبه فى مقدمة كتابه الغاية القصوى فى دراية الفتوى، حيث قال:"فأعلم أنى قد أخـذت الفقه عن والدى مولى الموالى الصدر العالى، ولى الله الوالى، قدوة الخلف وبقية السلف، إمـام الملـة والدين أبي القاسم عمر قدَّس الله روحه وهو عن والده قاضى القضاة السعيد فخر الدين محمـد بـن الإمام الماضى صدر الدين أبي الحسن على البيضاوي قدَّس الله أرواحهم عن الإمـام العلامـة مجـير الدين....."(٣)ثم ذكر سنده إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم.

مولده: ولد القاضى ناصر الدين البيضاوي فى بلدة البيضاء التابعة لمنطقة شـيراز،وقد غـاب عـن المؤرخين تاريخ ميلاده فلم يذكروه فى كتبهم، ولم يشرأحد من المترجمين إلى تاريخ ولادته، ولكـن على التقريب فهو من علماء القرن السابع،وولادته فى أوائل القرن السابع،أوأواخر القرن السادس.

---

(١) ينظر ترجمته فى طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن على السبكي، تحقيق/عبد الفتاح الحلو ، ومحمود محمد الطناحي:٥/٥٩ــ مطبعة عيسى البابى وشركاه — ط أولى ١٣٨٣هـ -١٩٦٤م، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي:٥/٣٩٢- دار المسيرة — بيروت — ط ثانية — ١٩٧٩م،وبغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم:٢/٥٠ - دار الفكر — ط ثانية — ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م،وطبقات الشافعية لجمال الـدين عبـد الرحيم الإسنوي:١/٢٨٣- دار الكتب العلمية — ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) انظرمعجم البلدان لياقوت الحموي:١/٥٢٩- دار صادر — بيروت- ١٣٩٧هـ،١٩٧٧م.

(٣) الغاية القصوى فى دراية الفتوى تحقيق/محيى الدين على القرة داغى:١/١٤٨- د.ت.

نشأته: وأما نشأته فقد نشأ البيضاوي في بيت علم وبركة،فأخذ العلم عن والده، كما تتلمذ على شيوخ عصره في مختلف المجالات، فتربى في مهد العلم وغذى به وتدرج فيه إلى أن بلغ فيه درجة سامية جمع فيها القرآن وعلومه، والفقه وأصوله،واللغة وعلومها، كما برع في علم الكلام والجدل والمنطق والتاريخ والفلسفة، فقال عنه العلماء :إنه كان إماما مبرزا نظّارا خيرا صالحا متعبدا فقيها أصوليا متكلما مفسرا محدثا أديبا نحويا مفتيا قاضيا عادلا.(١)

عقيدته ومذهبه: كان البيضاوي متكلما أشعريا متصوفا شافعي المذهب، ظهر ذلك في كتاباته في التفسير وغيرها من العلوم التي كتب فيها كالفقه ،والمنطق والعقيدة، ففي علم الكلام ألف كتاب الطوالع ،والإيضاح، ومصباح الأرواح وغيرها، فكتابه طوالع النوار قال فيه الأسنوي: هو كتاب دقيق للغاية وأجل مختصر صنف في علم الكلام.(٢)

وفاته: توفي البيضاوي في تبريز ببلاد فارس،ودفن في"خرانداب" بتبريزعلى شرقي تربة الخواجة ضياء الدين يحيى على ما ذكر الخوانسارى.(٣)وأما تاريخ وفاته فقد اختلف فيه المؤرخون.فقال السبكي(٤) والأسنوي:(٥) سنة إحدى وتسعين وستمائة،وقال ابن كثير(٦) في تاريخه والخوانساري(٧) وجمهورالمؤرخين:توفي سنة خمس وثمانين وستمائة.ولتباين هذه الأقوال في تاريخ وفاته حيث لا يمكن الترجيح، فالمعول عليه هوالأخذ بقول جمهورالمؤرخين أنه توفي عام خمس وثمانين وستمائة، والله أعلم.

المطلب الثاني:الحديث عن شيخ زادة(٨)

اسمه: محمد بن مصلح الدين القوجوي الرومي الحنفي محيي الدين المعروف بشيخ زاده(٩).

نشأته: كان متواضعا متخشعا مرضي السيرة ومحمود الطريقة كان محبا لأهل الصلاح وكان يروي التفسير في مسجده، قرأ على علماء عصره الروميين،ولازم ابن فضل الدين،وبرع في العلوم ودرس

---

(١) الفتح المبين في طبقات الأصوليين:١/٨٨.

(٢) نهاية السول:١/د

(٣) روضات الجنات:٥/١٣٤.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى:٥/٥٩.

(٥) طبقات الشافعية للأسنوي:١/٢٨٣.

(٦) البداية والنهاية، أبو الفداء عماد الين إسماعيل بن كثير: ١٣/٣٠٩- ط ثانية- مكتبة المعارف- بيروت- ١٩٧٩م.

(٧) روضات الجنات:٥/١٣٤.

(٨) لم يتوفر لي القدر الكافي من المصادر والمراجع التي تحدثت عن شيخ زادة ومكانته العلمية ومؤلفاته إلا القدر اليسير.

(٩) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني:٢/٢٦٢- منشورات دار الكتاب الإسلامي- د.ت.

بمدارس الروم،ثم رغب عن ذلك ولازم بيته، وعين له السطان بعد ترك التدريس كل يوم خمسة عشرة درهما،وكان يقول:أنه يكفيه عشرة دراهم.وهومفسر،من فقهاء الحنفية،وكان مدرسا في استانبول(١).

مؤلفاته: له "حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي ط" أربعة مجلدات-ضمن موضوع البحث- وقال الحاج خليفة عنها:هي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعا وأسهلها عبارة، وله أيضا"شرح الوقاية" في الفقه،و"شرح الفرائض السراجية" و"شرح المفتاح للسكاكي"وشرح البردة خ"و"حاشية على مشارق الأنوار للصاغاني خ" في اسطنبول(٢).

مما قيل عن حاشيته على البيضاوي:

"صنف شيخ زادةعلى تفسير البيضاوي حاشية حافلة جامعة لما تفرق من الفوائد من كتب التفاسير بعبارات سهلة واضحة؛لينتفع به المبتدىء،وذكر في أسامي الكتب وهي من أعظم الحواشي نفعا وأكثرها فائدة وأسهلها عبارة كتبها على سبيل الإيضاح والبيان في ثماني مجلدات ثم اختصرها بعد ذلك في أربع مجلدات فعمت بركتها،واستعملها العلماء وانتفع بها الطلاب وأفادوا ببركة زهده وورعه(٣).

وفاته: كانت وفاته في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، ومن أراد من تفصيل مناقبه .

المطلب الثالث:الحديث عن الشهاب الخفاجي

اسمه،ونسبه:

هوأحمد بن محمد بن عمرالخفاجي المصري الحنفي(٤) والخفاجي:نسبة إلى قبيلة خفاجة(٥)،وهوالمصري: نسبة إلى مصر التي ولد ونشأ فيها،وعاش معظم حياته، ثم مات ودُفن فيها.

والحنفي نسبة إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان.

لقبه: أما لقبه فهو شهاب الدين باتفاق المصادر،ولقب بقاضي القضاة؛لأنه تولى هذا المنصب مدة من الزمن.

---

(١) طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنروي ،تحقيق/ سليمان بن صالح الخزي:٣٨٢- مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة-ط أولى١٩٩٧.

(٢) الأعلام ،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي:٩٩/٧- دار العلم للملايين- ط ١٥- ٢٠٠٢م.

(٣) طبقات المفسرين:٣٨٢.

(٤) ينظر ترجمته في ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للشهاب الخفاجي، تحقيق/عبد الفتاح الحلو:٣٢٧/٢- ٣٤٠،مطبعة عيسى البابي الحلبي- ط أولى - ١٩٦١م.

(٥) ينظر دائرة المعارف الإسلامية، تعريب/أحمد الشنتناوي، ومحمد ثابت الفندى، وإبراهيم زكى خورشيد، وعبد الحميد يونس:٣٩٦/٨- مصر - ١٩٣٣- ١٩٧٥م،ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة:٣٥٠/١-٣٥٢ المكتبة الهاشمية - دمشق - ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

ولادته: ولد الشهاب سنة "٩٧٧هـ - ١٥٦٩م" لأب من خيرة علماء عصره،هومحمد بن عمرالخفاجي المتوفى سنة"١٠١١هـ (١) وكانت ولادته فى قرية "سرياقوس" قرب القاهرة.

نشأته: نشأ الشهاب فى حجر أبيه،يعلمه،ويؤدبه،وعليه تخرج فى كثير من الفنون،ثم انطلق إلى رحاب واسع،فدرس النحو وعلوم العربية على خاله أبي بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين الشنواني، المتوفى سنة "١٠١٩"هـ ، الملقب بـ"سيبويه زمانه" ثم درس المعانى والمنطق وبقية علوم الأدب.

شيوخه: منهم:

١- الشمس الرملي(٢)المتوفى سنة١٠٠٤ هـ ،قرأ عليه شيئا من مسلم، وأجازه بلك،وبجميع مؤلفاته ومروياته، بروايته عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وعن والده.

٢- نورالدين الزِّيَّادي(٣)،رئيس العلماء بمصر،المتوفى ١٠٢٤هـ.

٣- على بن غانم المقدسي(٤)المعروف بابن غانم الخزرجي، المتوفى سنة١٠٠٤هـ.

٤- إبراهيم العلقمي(٥)،المتوفى ٩٩٤هـ، وقرأ عليه كتاب"الشفا" وأجازه به وبغيره.

٥- أحمد العلقمي(٦)أخذ عنه الأدب والشعر.

٦- محمد صالح الشامي(٧)المتوفى سنة ١٠١٢هـ،وأخذ عنه الأدب والشعر أيضا.

٧- أحمد العناياتي(٨)المتوفى سنة ١٠١٤هـ،وأخذ عنه الأدب والشعر.

٨- سعد الملة والدين بن حسن(٩)القسطنطيني المولد والنشأة والوفاة، ولد بالروم، واشتغل بالتدريس، ثم اختاره السلطان مراد معلما لنفسه، توفى سنة ١٠٠٨هـ.

٩- الحبرداود(١٠):وقدأخذ عنه الشهاب الرياضيات، وقرأ عليه إقليدس وغيره.

تلاميذه:

منهم:

---

(١) ينظر خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، محمد الأمين المحبى:٤/٧٦- مكتبة الخياط – بيروت – د.ت.

(٢) ينظر ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا:١/٣٠٠.

(٣) ينظر خلاصة الأثر:٣/١٩٥.

(٤) ينظر ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا:٢/٥٢.

(٥) ينظر السابق:٢/٧٧.

(٦) ينظر السابق:٢/٧٩.

(٧) ينظر السابق:١/٢٧.

(٨) ينظر السابق:١/١٧.

(٩) ينظرريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا:٢/٢٧٣.

(١٠) ينظر السابق:٢/٣٠٠.

- عبدالقادر البغدادي([1]):صاحب "خزانة الأدب"،المتوفى سنة١٠٩٣هـ، قرأ على الشهاب كثيرا من كتب التفسير والحديث والآداب، وأجازه بذلك وبمؤلفاته.
- أحمد بن يحيى بن عمر الحموي([2]):المعروف بالعسكري الشافعي/ مفتي الشافعية بحماة،المتوفى سنة١٠٩٤هـ.
- فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي([3])المتوفى سنة ١٠٨٢هـ ،الذى كتب عن الشهاب أصل"الريحانة" الذى سماه:"خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا" وهو والد محمد الأمين المحبي،صاحب "خلاصة الأثر".

آثـــاره:

أولاً:مؤلفاته المطبوعة:

١- عناية القاضى وكفاية الراضى،وهوحاشيته على تفسير البيضاوي "موضوع البحث".
٢- أمالى الشهاب الخفاجي .
٣- ديوان الأدب.
٤- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا.
٥- طراز المجالس.
٦- قلائد النحور فى جواهر البحور.
٧- شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل والنادر الوحشي القليل.
٨- شرح درة الغواص فى أوهام الخواص.
٩- نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض.

ثانياً:مؤلفاته غير المطبوعة:

١- تفسير قوله تعالى" إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ..." ([4])
٢- الكشف على الكشاف.
٣- رسالة على البيضاوي فى تفسيرقوله تعالى" وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ.."([5])
٤- رسالة تكلم فيها عن المشاكلة والاستعارة.
٥- رسالة فى معنى التشخيص.

---

(١) ينظر خلاصة الأثر:٢/٤٥١.
(٢) ينظر خلاصة الأثر:١/٣٦٧.
(٣)ينظر السابق:٢/٢٧٧.
(٤) سورة الأحزاب من الآية:٧٢.
(٥) سورة آل عمران من الآية:١٥٧.

٦- إعراب قوله تعالى" ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ.."(١)

٧- بيان ما أشكل على بعض الطلاب فى آيتين من أول سورة الأنعام.

٨- جواشى الرضي والجامي.

٩- رسالة فى اتصال الضمير بغير عامله.

١٠- حواشى التهذيب.

١١- رسالة فى قوله تعالى"أَرَأَيْتَكُمْ..."(٢)

١٢- رسالة فى قوله تعالى"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"(٣)، والمعوذتين،والكلام على لفظ "قل".

١٣- رسالة فى"ما" الواقعة فى قوله تعالى"وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...."(٤)

١٤- رسالة فى متعلق البسملة.

١٥- رسالة فى الموصول.

١٦- الرسالة الليثية.

١٧- الروض النضير فى شرح شواهد التفسير.

١٨- السوانح.

١٩- قصائد.

٢٠- قصيدة غزلية فى مدح شيخ الإسلام البكري.

٢١- مقامة.

٢٢- حديقة السحر.

٢٣- ديوانه.

٢٤- الرحلة.

٢٥- رسائل ومكاتيب لم يجمعها.

٢٦- الرسائل الأربعون

٢٧- حاشية شرح الفرائض.

٢٨- النفحة القدسية فى بيان حقيقة الصلاة على خير البرية.

٢٩- خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا.

وفاتــه: كانت وفاته – رحمه الله تعالى – يوم الثلاثاء لثنتي عشرة خلت من شهر رمضــان ١٠٦٩هـــ، ١٦٥٩م، وكان قد أناف على السبعين، وقد كان قد توفي قبله بثلاثة أشهر الفقيه الكبير محمد بن أحمــد

---

(١) سورة الأنعام من الآية:٢.

(٢) سورة الأنعام من الآية:٤٠.

(٣) سورة الإخلاص:١.

(٤)سورة آل عمران من الآية:٨١.

الشوبري الملقب بالشافعي الصغير، فقال فيهما أحمد بن محمد الحموي المصري يرثيهما وكان قد قرأ عليهما:(١)

مضى الإمامان فى فقه وفى أدب* الشوبري والخفاجي زينة العرب
وكنت أبكى لفقد الأدب منفردا * فصرت أبكى لفقد الفقه والأدب

****

المطلب الرابع: الحديث عن أسلوب الأمر

مفهوم الأمر:

الأمرلدى البلاغيين:طلب فعل طلبا جازما على جهة الاستعلاء(٢) ومعنى الاستعلاء "عد الآمرنفسه عاليا سواء كان عاليا فى نفسه أم لا"(٣) وقد اختلفت العلماء فى الاستعلاء(٤) فمنهم من يشترط الاستعلاء ومنهم من لايشترطه(٥).

صيغ الأمر:

للأمرأربع صيغ هى:

١- فعل الأمر نحو قوله تعالى"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ"(٦).

٢- المضارع المقترن بـ"لام الأمر" كقوله سبحانه"وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا"(٧).

٣- اسم فعل الأمرنحو قوله تعالى"عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ"(٨).

٤- المصدرالنائب عن فعل الأمرنحو قول الحق سبحانه"وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"(٩).

---

(١) خلاصة الأثر:١/٣٤٣.

(٢) انظر الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزويني:١٤١- دار إحياء العلوم – بيروت- ط الرابعة – ١٩٩٨م،وشروح التلخيص:٢/٣٠٨- طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر – د.ت،وأساليب بلاغية د/أحمد مطلوب:١١٠- وكالة المطبوعات – الكويت – ط أولى ١٩٨٠م.

(٣) مختصر سعد الدين التفتازاني(ضمن شروح التلخيص):٢/٣١٢.

(٤) ينظر عروس الأفراح لابن السبكي(ضمن شروح التلخيص):٢/٣١٠،وحاشية الدسوقي(ضمن شروح التلخيص):٢/٣٠٩.

(٥) يراجع فى الاستعلاء عروس الأفراح:٢/٣١٠.

(٦) سورة البقرة من الآية:٢١.

(٧) سورة النساء:٩.

(٨) سورة المائدة من الآية:١٠٥.

(٩) سورة البقرة من الآية:٢٨٥.

المعانى البلاغية لصيغة الأمر:

تخرج صيغة الأمرعن معناها الأصلي فتفيد معانى أخرى تفهم من السياق بمعونة القرائن ومقتضيات الأحوال،وقد أوصل بعض شراح التلخيص هذه المعانى إلى خمسة وعشرين معنى(١).

هذا وقد عنى أصحاب الشروح،والحواشي،والتقاريربقضية إفادة الأمرلهذه المعانى البلاغية، وانحصرت آراؤهم فى ثلاثة أقوال هى:المجاز، والكناية، ومستتبعات التراكيب(٢) ولكل وجهته. ورجح الدسوقي الكناية ومستتبعات التراكيب بقوله "لعل الأولى فى التحقيق على طريق الكناية،أوأنه من مستتبعات الكلام(٣).ويؤيد البحث هذا الرأي الذى أيده بعض شيوخنا بأنه عن طريق مستتبعات التراكيب،وهو قريب من الكناية(٤).

****

(١) ينظر عروس الأفراح(ضمن شروح التلخيص):٢/٣١٢-٣٢٢.

(٢) ينظر شروح التلخيص:٢/٢٩٠ومابعدها،والمطول :٢٣٥،وحاشية السيد الشريف على المطول:٢٣٥،وحاشية عبد الحكيم السيالكوتى الهندي على المطول:٣٩٢-دار الطباعة العامرة- ١٢٦٦هـ،وتقرير الشمس الإنبابي على شرح سعد الدين التفتازاني:٣/١٤٨- طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ه،وتجريد العلامة البناني على مختصر السعد:٢/٢١- طبع بمطبعة محمد على صبيح وأولاده – القاهرة- ط أولى ١٣٤٧ه.، والمجاز فى اللغة والقرآن الكريم د/عبد العظيم المطعني:١/٤٢٥- مكتبة وهبة- ط أولى – د.ت.

(٣) حاشيية الدسوقي(ضمن شروح التلخيص):٢/٢٩٥،ورجح العصام الكناية بقوله"إذا لم يمتنع حملها على الحقيقة لكن دلتك القرينة على ما يتوسل إليه بالحقيقة فتمسك بالكناية" الأطول على التلخيص ،لعصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفرائيني:١/٢٤٦– طبع بالمطبعة العامرة ١٢٨٤ه

(٤) ينظر البلاغة فى تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات القرآنية د/محمد أبو موسى:٣٠٢- القاهرة – دار الفكر العربي – د.ت.،ودلالات التراكيب دراسة بلاغية له أيضا:٢١٦- مكتبة وهبة- ط ثانية – ١٤٠٨هـ،١٩٨٧م، وينظر:أساليب الأمر والنهى فى القرآن الكريم وأسرارها البلاغية"رسالة ماجستير"للباحث:يوسف عبد الله الأنصاري:١٠-١٣- بكلية اللغة العربية – جامعة أم القرى – السعودية -١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

مبحث المعاني البلاغية للأمر
عند زادة والشهاب في حاشيتيهما على
تفسير البيضاوي

الإباحة:

من المعاني البلاغية للأمرالتي ذكرها كل من زادة والشهاب في حاشيتيهما الإباحة: فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَاللّهِ وَلاَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَاحَلَلْتُم فَاصْطَادُواْ.....الآية"(١) حيث قال البيضاوي" أُذِنَ في الاصطياد بعد زوال الإحرام ،ولا يلزم من إرادة الإباحة ههنا من الأمردلالة الأمرالآتي بعدُ الحظرعلى الإباحة مطلقا "(٢) وقال شيخ زادة"قوله:ولا يلزم من إرادة الإباحة ههنا...الخ يعني أن ظاهرالأمرإفادة الوجوب،سواء وجد بعد الحظر كورود قوله"وَإِذَاحَلَلْتُم فَاصْطَادُواْ"بعد قوله"لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ"(٣) أورده ابتداء،فكان القياس أن يكون قوله تعالى"وَإِذَاحَلَلْتُم فَاصْطَادُواْ"لا يفيد الوجوب بدليل منفصل،وهوأن الآية المحرمة للاصطياد إنما دلت على حرمته بسبب كون الإحرام مانعا عنه،ولما كانت حرمة الاصطياد معللة بالإحرام وجب أن تنتهي الحرمة بانتهاءعلتها؛لأن الحكم المبني على علته يرتفع بارتفاع علته، فحل الاصطياد ومباحيته لمن حل من إحرامه لايستفاد من صيغة الأمر، بل يستفاد من انتهاء العلة المحرمة وهي الإحرام، فالآية ليس فيها دلالة على أن الأمر بعد الحظر للإباحة"(٤) أما الشهاب فقال" قوله أُذِنَ في الاصطياد بعد زوال الإحرام ولا يلزم من إرادة الإباحة الخ) قال الزجاج :ومثله لا تدخلن هذه الدار حتى تؤدي ثمنها فإذا أديت ثمنها فادخلها ،أي :إذا أديت أبيح لك دخولها،وهذه مسألة أصولية فقيل الأمربعد الحظر يقتضي الإباحة واستدلّ بهذه الآية"(٥) والمصنف – رحمه الله تعالى- لا يراه؛ فلذا قال إنّ الأمرهنا للتوسعة ،ورفع المنع ،والصيد ليس مأموراً به فلا وجه للإيجاب فيه،ولا تكون الآية دليلاً على ما

---

(١) سورة المائدة من الآية:٢.

(٢) ينظرتفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل،للقاضي ناصر الدين أبي سعيدعبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تحقيق/محمدصبحي حسن حلاق،ود/محمودأحمد الأطرش: ٤١٧/١ – دار الرشيد – دمشق(حررها الله من الطغاة)– بيروت – ط أولى ١٤٢١هـ ،٢٠٠٠م

(٣) سورة المائدة من الآية:٩٥.

(٤)وحاشية محيي الدين شيخ زادة محمد محيي الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوى على تفسير البيضاوي:١٩١/٢– مطبعة مكتبة الحقيقة– تركيا –استانبول– ١٤١٩هـ ،١٩٩٨م

(٥)ينظرمعاني القرآن وإعرابه للزجاج ،تحقيق د/عبد الجليل عبده شلبي:١٤٣/٢،و١٧٢/٥–عالم الكتب – بيروت – ط أولى –١٤٠٨هـ،١٩٨٨م.

ذكر، فإن كان ما يقتضي الإيجاب أوالاستحباب عمل به ،ومن قال حقيقته الإيجاب قال إنه مبالغة في صحة المباح حتى كأنه واجب ، وقيل إنّ الأمر في مثله لوجوب اعتقاد الحل وفيه نظر،وتحقيقه في أصول الفقه"(١) وتلحظ في كلام البيضاوي أنه قد يشعرك بأن له رأيان،أحدهما:وقوع الإباحة بعد زوال الإحرام بغض النظرعن الأمر في الآية. ثانيهما:أنه وإن أريد بالأمر في الآية الإباحة لوروده بعد حظر، إلا أنه ينبغي ألا يكون ذلك على إطلاقه، وكأن البيضاوي – في هذا الموضع – بصدد تقريرقاعدة بلاغية مهمة ألا وهي عدم إطلاق هذا المعنى البلاغي للأمركلما ورد بعد حظر،وكأنه يقول ليس بالضرورة أن يكون كذلك. أما شيخ زادة فكان صوته من العلووالحسم بمكان إذ نفى نفيا قاطعا إفادة الإباحة من وراء فعل الأمرفي الآية، وقد نص على ذلك نصا حيث قال" فحل الاصطياد ومباحيته لمن حل من إحرامه لايستفاد من صيغة الأمر، بل يستفاد من انتهاء العلة المحرمة وهي الإحرام، فالآية ليس فيها دلالة على أن الأمر بعد الحظر للإباحة" هذا في حين رأينا الشهاب ينحو نحوا مختلفا حيث كان فحوى مافهمه من البيضاوي عدم لزوم إطلاق إفادة معنى الإباحة للأمر بعد الحظر،وذلك من خلال قوله عن البيضاوي"فلذا قال إن الأمرللتوسعة ورفع الحرج"ثم رد الشهاب ذلك قائلا"ولا تكون الآية دليلاًعلى ما ذكر" وتجدرالإشارة إلى اتكاء الشهاب على أبي حيان في إحالته إشكالية إفادة صيغة الأمرللإباحة بعد الحظرإلى علم أصول الفقه"(٢) هذا وقد قال بالإباحة للأمرفي الآية جل العلماء ناصين على ذلك نصا(٣)،ومنهم من ذكرذلك بالفحوى كالسمرقندي حيث قال"هذه رخصة بلفظ الأمركقوله تعالى" فَإِذَا قضيت الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ....الآية"(٤). ومما يمكن التنويه إليه لمعنى الإباحة عند زادة والشهاب ما ورد في قوله تعالى"فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً

(١)ينظر حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي:٣/٢١٤– دار صادر – بيروت – د.ت.

(٢) ينظر البحر المحيط ،تحقيق/ صدقي محمد جميل: ٤/١٦٨– دار الفكر – بيروت – ١٤٢٠هـ.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:١/ ٦٣٧ – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧هـ ،والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد:٢/١٤٣– دارالكتب العلمية– لبنان – ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، ومفاتيح الغيب الفخر الدين الرازي:١١/٢٧٩– دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، والبحر المحيط:٤/١٦٨،وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى بتفسيرأبي السعود:٣/٤– دارإحياء التراث العربي– بيروت– د.ت،وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق:على عبد الباري عطية:٦/٥٥– دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١٤١٥ هـ،والتحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن بن عاشور:٦/٨٥– الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤ هـ.

(٤) سورة الجمعة من الآية:١٠، وبحر العلوم تحقيق/محمود مطرجي :١/٣٩٠– دار الفكر – بيروت– د.ت.

طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌرَّحِيمٌ"(١) إذ قال البيضاوي" فكلوا مما غنمتم،من الفدية فإنها من جملة الغنائم.وقيل:أمسكواعن الغنائم فترلت.والفاء للتسبب،والسبب محذوف تقديره:أبحت لكم الغنائم فكلوا. وبنحوه تشبث من زعم أن الأمرالوارد بعد الحظرللإباحة"(٢) وقال شيخ زادة: قوله "وفائدته" أى فائدة التقييد بقوله "حلالا" أوفائدة ذكر المسبب الذى هوإباحة الغنائم"(٣) وقال الشهاب" قوله: وبنحوه تشبث الخ ،أي تمسك. والتعبيربالتشبث الذي هوبمعنى التعلق يشعربضعفه؛ لأن الإباحة ثبتت هنا بقرينة أن الأكل إنما أمربه لمنفعتهم"(٤) فقد أورد شيخ زادة معنى الإباحة هنا دون تعرض للأمر"فكلوا"من قريب أوبعيد،حيث أشارإليه من خلال تعليقه على القيد"حلالا".

أما الشهاب فلم يستوقفه فى هذا الصدد سوى التعبير بكلمة"تشبث"التى وقف من ورائها على أن الإباحة فى الآية نابعة من قرينة المنفعة الناجمة مِنْ وراء الأمر بالأكل. هذا وقد ذهب كثيرمن العلماء إلى معنى الإباحة (٥) بينما خالف كل من أبى حيان والطاهربن عاشور،فقد جعل الأول الأمرمفيدا للتوكيد فقال"وليس هذا الأمرمنشأ لإباحة الغنائم،إذ قد سبق تحليلها قبل يوم بدر،ولكنه أمر يفيد التوكيد واندراج مال الفداء في عموم ما غنمتم"(٦) أما الثانى فقد جعل الأمرللامتنان حيث قال"والأمرفى"كلوا"مستعمل فى المنة،ولا يحمل على الإباحة هنا؛لأن إباحة المغانم مقررة من قبل يوم بدر"(٧) ومما ذكراه فى حاشيتيهما للأمرالمفيد للإباحة ما جاء فى قول الحق سبحانه" فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللّهِ وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"(٨). حيث قال البيضاوي" فانتشروا في الأرض"وابتغوا من فضل الله"إطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الأمر بعد الحظر للإباْحة"(٩) ويعلق شيخ زادة على قول البيضاوي بقوله"إطلاق لما حظرعليهم"أى إباحة لما حرم عليهم من المعاملة والاشتغال بأمورالدنيا،فإن كل واحد من الانتشارفى الأرض وطلب الرزق بالتجارة بعد الفراغ من صلاة الجمعة ليس بواجب بل هوأمرمباح، قال بن عباس-رضى الله عنه- إن

(١) سورة الأنفال:٦٩.

(٢) البيضاوي:٢/٣٢.

(٣) حاشية شيخ زادة:٢/٤١٧.

(٤) حاشية الشهاب:٤/٢٩٣.

(٥) ينظر بحر العلوم:٢/٣٢،والكشاف:٢/٢٣٨،والمحرر الوجيز:٢/٥٥٤،ومفاتيح الغيب:١٥/٥٠٢،ونظم الدرر فى تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق/عبد الرازق غالب المهدي: ٣/٢٤٥ - دار الكتب العلمية – بيروت -١٤١٥هـ - ١٩٩٥م وإرشاد العقل السليم:٤/٣٦،وروح المعانى:٥/٢٣١.

(٦) البحر المحيط:٥/٣٥٤.

(٧) التحرير والتنوير:١٠/٧٩.

(٨) سورة الجمعة:١٠.

(٩) البيضاوي:٣/٤٠٦.

شئت فاخرج،وإن شئت فصل إلى العصر،وإن شئت فاقعد(١)،ونظيرهذه الآية قوله تعالى"وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا"(٢) فإنه إباحة لما حرم بقولـه"لَاتَقْتُلُواالصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ"(٣)(٤) ويقول الشـهاب"وقوله: إطلاق لما حظر، أي منع فهو إباحة للمعاملة بعد الفراغ منها ، وقد كانت ممنوعة وهذا توطئـة لمـا بعده.أما قوله — والكلام للشهاب معلقا على البيضاوي — "واحتج به من جعـل الأمرالخ،الأمرهنـا للإباحة على الأصح،وفي شرح البخاري للكرماني أنه متفق عليه (٥) وفيه نظر؛لأنه قيل:إنه للوجوب كما نقله السرخسي(٦)،وقيل:إنه للندب، كما نقل عن سعيد بن جبير- وهو الأقرب - لما فيه مـن عدم التشبه بأهل الكتاب في تعليل يوم السبت والأحد،وهذا اليوم لنا بمنزلته،واختلف الأصـوليون في الأمر الوارد بعد المنع ،فقيل:للإباحة استدلالاً بما هنا فإنه لم يذهب أحد مـن أصـحاب المـذاهب المشهورة إلى أنه للإيجاب"(٧) وبالنظرفي تعليقي زادة والشهاب تجد عمق التعليق ورسـوخ التوثيـق لديهما، أما شيخ زادة فتراه يحلل ويعلل،ويذكرالدليل تلو الدليل، من خلال ما ساقه من قـول ابـن عباس — رضى الله عنهما- ومن خلال استشهاده بآية المائدة"وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْـطَادُوا"وكأنه لم يبـق لقائل أن يقول شيئا. وأما الشهاب فقد امتطى جواد الإطناب،حيث كان أكثرشرحا وتفصيلا مـن زادة،فقد ذهب إلى أن الأمر فى الآية فيه عدة آراء أصحها أنه للإباحة،وينقل عن الكرماني فى شـرحه لصحيح البخاري بأن معنى الإباحة للأمرمتفق عليه،ولكنه لايسلم بذلك فيقول "وفيه نظر"، ثم يعلـل لذلك بأن هناك من جعله للوجوب كالسرخسي،ومن جعله للندب كسعيد بن جبير، ثم يذكرميلـه إليه معللا بأنه الأقرب هروبا من التشبه بأهل الكتاب فى تعليلهم يوم السبت والأحد، ثم يـذكررأى الأصوليين فى الأمرالوارد بعد المنع بأنه للإباحة استدلالا بما فى هذه الآية،والشهاب فى ذلك يعلق على قول البيضاوي" واحتج به من جعل الأمر بعد الحظر للإباحة"(٨) هذا وقد ذهب جل العلماء إلى معنى

---

(١) قول ابن عباس رضى الله عنهما فى موطأ الإمام مالك بن أنس أبي عبد الله الأصبحي- رواية محمد بن الحسن — تحقيق/ د. تقي الدين الندوي: هامش :١/١٢٣- دار القلم - دمشق- ط أولى - ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م.

(٢) سورة المائدة من الآية:٢.

(٣) سورة المائدة من الآية:٩٥.

(٤) حاشية شيخ زادة:٤/٤٠٠.

(٥) ينظر صحيح البخاري بشرح الكرماني،كتاب الجمعة،باب قوله تعالى" فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ .....الآية:٦/٤٧- داراحياء التراث العربي — بيروت - لبنان- ط أولى ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م.

(٦) ينظر كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسي:٣٠/٢٥٠،٢٥١-بيروت — لبنان — د.ت.

(٧) الشهاب:٨/١٩٦،١٩٧.

(٨) البيضاوي:٣/٤٠٦.

الإباحة(١) ومما ذكراه للإباحة فى حاشيتيهما ما جاء فى قوله تعالى"..... فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا..."(٢) حيث قال البيضاوي رحمه الله" أى الأحكام التى ذكرت"(٣) قال شيخ زادة"والأمرفى قوله تعالى" باشروهن، وكلوا، واشربواحتى يتبين لكم"الإباحة بالإجماع ،إما على قول من قال:الأمر الوارد عقيب الحظرليس إلا للإباحة فالأمرظاهر.وإما على قول من يقول مطلق الأمرللوجوب،فإنهم قالوا:إنما تركنا الظاهروحكمنا أن هذا للإباحة للإجماع على عدم وجوب شيئ من ذلك"(٤) ويقول الشهاب"أي الأحكام المذكورة من باشروا وابتغوا وكلوا واشربوا للإباحة"(٥) وتلمس عند زادة فضل تفصيل فى القول دون الشهاب،حيث أورد رأيين قيلا فى ذلك،كلا القولين ذاهب إلى معنى الإباحة. هذا وما ذكراه أورده الزمخشري والرازي والآلوسي(٦) ومما ذكرللإباحة وخالف فيه الشهاب البيضاوي دون زادة ماجاء فى قوله تعالى فى سورة الأنعام:" قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"(٧) إذ قال البيضاوي" كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا، والفرق بينه وبين قوله " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ"(٨) أن السيرثمت لأجل النظر،ولا كذلك ها هنا؛ولذلك قيل معناه إباحة السير للتجارة وغيرها وإيجاب النظر في آثار الهالكين"(٩) وقال شيخ زادة" قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا"فمعناه إباحة السيرفى الأرض للتجارة وغيرها من المنافع،وإيجاب النظرفى آثار الهالكين،ونبه على ذلك بـ"ثم" لتباعد مابين الواجب والمباح"(١٠) وقال الشهاب"قوله:ولا كذلك هاهنا؛ولذلك قيل معناه إباحة السير للتجارة الخ أُوردعليه أنه يأباه سلامة الذوق ؛لأنه إقحام أمرأجنبيّ كبيان إباحة السيرللتجارة بين الإخبارعن حال المستهزئين وما يناسبه وما

(١) ينظربحر العلوم: ٤٢٦/٣، والكشاف: ٥٣٦/٤، والمحرر الوجيز: ٣٠٩/٥، ومفاتيح الغيب:٥٤٢/٣،والبحر المحيط:١٧٥/١٠، ونظم الدرر: ٦٠١/٧،وإرشاد العقل السليم: ٢٥٠/٨، وروح المعانى:١٩٨/١٤، والتحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٨.

(٢) سورة البقرة من الآية:١٨٧.

(٣) ينظرتفسير البيضاوي : ١٧٠/٢.

(٤) حاشية شيخ زادة:٤٩٦/١.

(٥)حاشية الشهاب:٢٨١/٢.

(٦) ينظر الكشاف:٢٣٠/١، ومفاتيح الغيب:٩٠/٥ الفخر الدين الرازي: ٥ /٩٠،وروح المعانى:٦٥/٢.

(٧) الآية:١١.

(٨) سورة النمل :٦٩.

(٩) البيضاوي:٤٨٠/١،٤٨١.

(١٠) حاشية شيخ زادة:٢٥٤/٢.

يتصل به من الأمربالاعتباربآثارهم ،وهو مما يخل بالبلاغة إخلالاً ظاهرا اهـ ،وهـذا وإن تـراءى في بادئ النظرلكنه غيروارد إذ هوغيرأجنبيّ؛لأنّ المراد خذلانهم وتخليتهم وشأنهم من الإعراض عن الحـق بالتشاغل بأمردنياهم كقوله"وليتمتعوا "(١) والحاصل هنا أن البيضاوي يقارن بين المراد مـن فعلـي الأمر"سِيرُوا" في الآيتين السابقتين،حيث عزا الأمر في آية النمل إلى الوجوب ،أى:وجـوب النظـر والاعتبار،في حين جعل الغرض من وراء الأمرفي سورة الأنعام مرادا بـه معنـيين: الإباحـة،وإيجاب النظرفي آثارالهالكين،وتجدرالإشارة هنا بأن ما أورده البيضاوي هو عين مـانص عليـه الزمخشـري (٢).وبالنظرفيما قاله شيخ زادة تجده متفقا مـع البيضـاوي فيمـا ارتـآه مـن معـنى الإباحـة للأمر"سيروا"والوجوب للأمر"انظروا".

بينما حمل الشهاب على البيضاوي حملا شديدا إذ رأى فيما ذهب إليه من إرادة الإباحـة وإيجـاب النظرفي آية الأنعام إهداروإخلال بصرح البلاغة وذوقها. هذا وهناك من العلماء من رأى الأمرعلـى حقيقته(٣)وهناك من جعله للإباحة والحض على السير(٤). وتلك مواضع لمعـنى الإباحـة ذكرهـا الشهاب في حاشيته و لم يشرإليها شيخ زادة: من ذلك ما ورد في قوله تعالى" وَجَعَلْنَا بَيْـنَهُمْ وَبَـيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ"(٥) حيث قـال البيضاوي"سيروا فيها" على إرادة القول بلسان الحال أو الميال"(٦) يقول الشهاب" قوله:" سيروا فيها " في إشعار بشدة القرب حتى كأنهم لم يخرجوا من نفس القرى ، وقوله بلسان الحال كأنهم لما تمكنوا منه جعلوا مأمورين به فالأمر للإباحة"(٧)وما ذكره الشهاب قال به أبو حيان الأندلسـي (٨) وتبـع الآلوسي الشهاب(٩)، بينما خالفه الطاهر بن عاشورإذ جعل الأمر في الآية للتكوين (١٠)ومن ذلـك قوله تعالى" كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى"(١١) إذ قـال البيضـاوي"والمعنى

(١) حاشية الشهاب :٢٧/٤.

(٢) ينظر الكشاف:١٠/٢.

(٣) ينظر بحر العلوم:٤٥٨/١،والتحرير والتنوير:١٤٩/٧.

(٤) ينظرالكشاف:١٠/٢،والمحرر الوجيز:٢٧١/٢،ومفاتيح الغيب:٤٨٨/١٢،والبحر المحيط:٤٤٦/٤.

(٥) سورة سبأ:١٨.

(٦) تفسير البيضاوي:١٠٥/٣.

(٧)حاشية الشهاب:١٩٨/٧.

(٨) البحر المحيط:١٣٠/٢٢.

(٩) ينظر روح المعاني:٢٨٨/١٦.

(١٠) التحريروالتنوير:١٧٥/٢٢.

(١١) سورة طه :٥٤.

مُعِدِّيهما لانتفاعكم بالأكل والعلف آذنين فيه"([1]) قال الشهاب"وقوله آذنين فيه"إشارة إلى أن الأمرللإباحة"([2]) وما ذكره الشهاب قال به بعض العلماء([3]) بينما نجد ابن عطية مثلا لايتعرض للمعنى البلاغي للأمر في الآية بل يعلل لإيثار التعبير به فيقول:"أخرج العبارة في صيغة الأمر؛ لأنه أرجى الأفعال وأهدأها للنفوس"([4])في حين رأى السمرقندي أنه من باب وضع الخبر موضع الإنشاء إذ قال:"اللفظ لفظ الأمرومعناه الخبر، يعني لتأكلوا منه وترعوانعامكم"([5]) وقد يذكر الشهاب في حاشيته بأن الأمرعند المصنف للإباحة،ثم يخالفه في ذلك حيث يورد آراء أخرى تخالف قول المصنف، من ذلك ماجاء في قوله تعالى"يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ"([6]) حيث يقول البيضاوي"وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم،واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات .....الخ"([7]) ويقول الشهاب"وقوله:إباحة الطيبات إشارة إلى أنّ الأمرللإباحة والترفيه،على أنّ المراد بالطيبات ما ذكره المصنف،واعترض عليه بأنه يحتمل أن يراد بالطيب ما حلّ، والأمرتكليفيّ فلا يتمّ الاحتجاج ،وردّه بأنّ السياق يقتضي الأوّل ويؤيده تعقيبه لقوله "وآويناهما" كما في الكشاف يعارضه قوله" واعملوا صالحا" فإنه يرجح ما ذكره المعترض، وفي نسخة ويكون بالواو على أنه ابتداء كلام مع النبي – صلى الله عليه وسلم- أي: وقلنا يا محمد إنا قلنا للرسل الخ ،فهو معطوف على ما قبله ،وهو مع ما قبله كلام واحد ،أوهو جواب سؤال مقدر كما مرّ، قيل وهو الوجه فتأمّل"([8]) هذا وقد تنوعت آراء العلماء في الوقوف على الغرض البلاغي من وراء أسلوب الأمر " كلوا" في الآية السابقة، فمنهم من رأى أن الأمر ليس للإباحة ،حيث إن المراد بالطيبات الحلال الخالص([9])،ومنهم من اقتفى أثر البيضاوي في القول بالإباحة([10])ومنهم من قال بالرأيين دون ترجيح أحدهما على الآخر([11]).

---

(١) ينظر البيضاوي:٢/٣٩٤.

(٢) ينظر الشهاب:٦/٢٠٩.

(٣) ينظر الكشاف:٣/٦٩،و مفاتيح الغيب :٢٢/٦٠، والبحر المحيط:٧/٣٤٤،والتحرير والتنوير:١٦/٢٣٩.

(٤) المحرر الوجيز:٤/٨٤.

(٥)ينظر بحر العلوم :٢/٤٠٢.

(٦) سورة المؤمنون:٥١.

(٧) ينظر البيضاوي:٢/٤٧٢.

(٨) الشهاب:٦/٣٣٥.

(٩) ينظر بحر العلوم:٢/٤٨٢، والكشاف:٣/١٩٠.

(١٠) ينظر مفاتيح الغيب:٢٣/٢٨٠، وإرشاد العقل السليم:٦/١٣٨،والتحرير والتنوير:١٨/٦٧

(١١) ينظر روح المعاني:١٨/٤٠.

التسوية:

من المعاني البلاغية للأمرالتي ذكرها زادة والشهاب في حاشيتيهما على البيضاوي التسوية،فمن ذلك قوله تعالى"قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ"(١) إذ قال البيضاوي" قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم،أمر في معنى الخبر:أي لن يتقبل منكم نفقاتكم،أنفقتم طوعا أو كرها؟وفائدته المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول،كأنهم أمروا بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم؟"(٢) وقال شيخ زادة"قوله:أمر في معنى الخبر،قال الفراء(٣) والزجاج(٤):هذا لفظ أمرومعناه معنى الشرط،أى إن أنفقتم طائعين أو كارهين لن يتقبل منكم،انتهى صرف الأمرعن أصل معناه؛لأن قوله"لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ"يأبى عن إبقائه على أصل معناه. وقوله"وفائدته"أى فائدة الخبرفي صورة الأمرالتأكيد والمبالغة في بيان تساوى الأمرين،وعدم تفاوت الحال على كلا التقديرين،ونحوه قول كثير عزة لعشيقته:

أسيئى بنا أوأحسنى لاملالة لحالى ولا أن يقلب المتناوب(٥)

فإن في صورة الأمرتأكيدا لعدم تفاوت الحال،كأنه يأمرها بذلك ليتحقق ثباته على العهد،ويتبين غاية التبين،وقوله"أن يقلب المتناوب"أى:ينقض،كأنه يقول لها:امتحني قوة محبتي لك وعامليني بالإساءة والإحسان،وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة،والإخبارالمجرد لايفيد هذه المبالغة،وكذافي الآية لواكتفى بأن يقال:لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أوكرها لخلا الكلام عن الدلالة على المبالغة الحاصلة بإيراد الكلام في صورة الإخبار؛فإنه في قوة أن يقال:أنفقوا على أى حال أردتم،ثم انظروا هل يتقبل منكم"(٦)

وقال الشهاب"قوله: أمرفي معنى الخبرالخ،كما أن الخبر يستعمل للأمرفي نحو: "رحمه الله"،و"يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ"(٧)، كذلك الأمريستعمل بمعنى الخبركثيرا، كما في قول كثيرعزة:

أَسِيئِي بِنا أَو أَحْسِنِي لا مَلُومَةً ** لدينا ولا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ

---

(١) سورة التوبة:٥٣.

(٢) البيضاوي:٢/٥٨.

(٣) ينظرمعاني القرآن،تحقيق/أحمد يوسف نجاتي وآخرين:١/٤٤١- الدار المصرية للتأليف والترجمة — د.ت.

(٤) ينظرمعاني القرآن وإعرابه:٢/٤٥٣.

(٥) لم أجد هذا البيت بتلك الصورة في ديوان كثير،بل وجدته بالرواية المشهورة:أَسِيئِي بِنا أَو أَحْسِنِي لا مَلُومَةً ** لدينا ولا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ تلك الرواية التي ذكرها الشهاب،ينظرالديوان،جمع وشرح د/إحسان عباس:١٠١- دار الثقافة — بيروت — لبنان- ١٣٩١هـ،١٩٧١م.

(٦) حاشية شيخ زادة:٢/٤٣٦.

(٧) سورة البقرة من الآية:٢٢٨.

وهو كما قال الزجاج – رحمه الله – في معنى الشرط (١)، أي: إن أحسنت وإن أسأت فلست ملومة ولا مقلية، وإن تنفقوا طوعا أو كرها فلن يتقبل منكم، فلا يتوهم أنه إذا أمربالإنفاق كيف لا يقبله؟ وهواستعارة تمثيلية شبهت حالهم في النفقة وعدم قبولها بوجه من الوجوه، بحال من يؤمربفعل ليمتحنه ويجزبه، فيظهرله عدم جدواه،فلا يتوهم أن لفظه لفظ الأمر، والتجوّزعن الأمربالامتحان يقتضي بقاءه على الإنشائية، والمبالغة جاءت من هذه الاستعارة، وبمتحنوابصيغة المعلوم أي يجرّبوا"(٢) فمن خلال ماسبق بان لنا أن شيخ زادة انطلق في تبيانه معنى التسوية للأمر"أنفقوا" في الآية الكريمة من خلال قولي الفراء والزجاج بأن لفظه لفظ الأمرومعناه معنى الشرط" أي: إن أنفقتم على أي حال لن يتقبل منكم وأخرج الكلام مخرج الأمرللمبالغة في تساوي الأمرين في عدم القبول كأنهم أمروا أن يجربوا فينفقوا في الحالين.فينظرواهل يتقبل منهم فيشاهدواعدم القبول"(٣)، ثم يدلل على إرادة التسوية بأنه لابقاء لأصل الأمر؛لأن قوله "لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ" يأبى عن إبقائه على أصل معناه،ثم يذكر السر البلاغي من وراء إيثار التعبير بالأمردون الخبر، وأن مآل ذلك إلى المبالغة والتأكيد، وكمااستضاء بقولي الفراء والزجاج يستشهد بقول كثيرعزة:

أَسِيئِي بِنا أَو أَحْسِنِي ...الخ البيت. أما الشهاب فيكتفي في إبراز معنى التسوية بالنقل عن الزجاج دون الفراء، ويدلل على ورود الخبرفي صورة الأمربالآتي:

"رحمه الله"و"يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ"، ويسير على سنن شيخ زادة في الاستشهاد ببيت كثيرعزة إلا أن الرواية التي رواها تتفق والرواية التي في الديوان، بخلاف ما ذكره زادة، وقدأضاف الشهاب عما ذكره زادة ذكره أن معنى التسوية للأمرفي بيت كثيرأتى في ثياب صورة بيانية ألا وهي الاستعارة التمثيلية.

هذا وقد تباينت آراء العلماء حول المعنى البلاغي للأمر في الآية الكريمة، فمنهم من ذهب إلى القول بالتسوية دونما تفصيل(٤)، ومنهم من فصل القول فقال "أنفقوا" لفظه لفظ الأمرومعناه معنى الشرط، وقد أخرج مخرج الأمرمبالغة في معنى التسوية(٥).

ومنهم من خالف كابن حيان إذ قال معناه التهديد والتوبيخ(٦)، ومن ذلك أيضا – وهومايكاد يخرج من مشكاة واحدة – ما ورد في قوله تعالى: "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْلَا تَسْتَغْفِرْلَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْلَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً

(١) ينظرمعاني القرآن وإعرابه:٢/٤٥٣.

(٢) حاشية الشهاب:٤/٣٣٣.

(٣) روح المعاني:١٠/١١٧.

(٤) ينظر الكشاف:٢/٢٧٩،ومفاتيح الغيب:١٦/٦٨،وإرشاد العقل السليم:٤/٧٤،والتحرير والتنوير:١٠/٢٢٦.

(٥) ينظر بحر العلوم:٢/٦٥،والمحرر الوجيز:٣/٤٤،وروح المعاني:١٠/١١٧.

(٦) البحر المحيط:٥/٤٣٣.

فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"(١) حيث قال البيضاوي"استغفر لهم أولا تستغفرلهم، يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم كما نص عليه بقوله" إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ"(٢) وقال شيخ زادة"قوله: يريد به التساوى بين الأمرين، يعنى أن الكلام وإن ورد على صورة الأمر إلا أن المراد الإخبار بتساوى الأمرين كما فى قوله تعالى" أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ "(٣)، وفائدته العدول إلى صيغة الأمرمع أن الخبر أيضا يدل على تساوى الأمرين فى عدم النفع مثل أن يقال: استغفارك من حيث ترتب المغفرة عليه كعدمه لافرق بينهما هى الدلالة على التأكيد والمبالغة فى تساوى الأمرين، كأنه قيل: إن شئت أن تعرف أن لا أغفر لهم على كل حال امتحنى بأن تستغفر لهم تارة وتترك تارة أخرى تجدنى أستمرعلى عدم مغفرتى لهم فى الحالين"(٤) وقال الشهاب" قوله: يريد به التساوي بين الأمرين الخ،يعني هذه الجملة الطلبية خبرية والمراد التسوية بين الاستغفاروعدمه كقوله"أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا"(٥) وقوله"سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ"(٦) والمقصود الإخباربعدم الفائدة في ذلك، وأنهم لا يغفرلهم أصلا، وقيل الظاهرأن المراد بمثله التخيير، وهو المروي عنه –صلى الله عليه وسلم– لما قال عمركيف تستغفرلعدوّ الله وقد نهاك الله عنه؟! فقال: ما نهانى، ولكن خيرني(٧)، فكأنه قال:إن شئت فاستغفروإن شئت فلا تستغفر،ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم وإن استغفركثيراً"(٨) فإنك واجد شيخ زادة يوضح معنى التسوية لأسلوب الأمر فى الآية من خلال شرحه لقول البيضاوي،وقداستشهد بقوله

---

(١) سورة التوبة:٨٠.

(٢) البيضاوي:٢/٦٩.

(٣) سورة التوبة من الآية:٥٣.

(٤) حاشية شيخ زادة:٢/٤٤٥،٤٤٤.

(٥) سورة التوبة من الآية:٥٣

(٦) سورة البقرة من الآية:٦.

(٧) الحديث بتمامه" لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه،ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ليصلي،فقام عمرفأخذ بثوب رسول الله – صلى الله عليه وسلم،فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:إنما خيرني الله فقال "استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة ". وسأزيده على السبعين"،قال إنه منافق،قال فصلى عليه رسول الله– صلى الله عليه وسلم – فأنزل الله"وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ"التوبة من الآية:٨٤،والحديث فى الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – تحقيق: د. مصطفى ديب البغا – باب سورة براءة"التوبة"– رقم الحديث:٤٣٩٣– دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ط ثالثة – ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

(٨) حاشية الشهاب:٤/٣٤٨.

تعالى"أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا"،وكما فى الشاهد السابق وجدنا زادة يعرج إلى النكتة البلاغية فى العدول من الإخبارعن معنى التسوية إلى إفادة ذلك المعنى عن طريق أسلوب الأمر،بأن مرد ذلك إلى التأكيد والمبالغة فى تساوى الأمرين. أما الشهاب فقد كررمضمون ما أورده زادة،واستشهد بآيتين:الأولى إنشائية هى نفسها التى استشهد بها شيخ زادة،والثانية خبرية"سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ"وما استشهد به إنماهوبيان لقوله"هذه الجملة الطلبية خبرية والمراد التسوية بين الاستغفاروعدمه"فمن ثم اسشهد بتلك الآيتين،إلاأن الشهاب أضاف معنى آخر سوى التسوية لم يشرإليه زادة لامن بعيد ولامن قريب،وهوالتخييرمستشهدا لذلك بالحديث الذى دار بين عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- وبين رسول الله — صلى الله عليه وسلم- حول جواز صلاته- عليه السلام — على زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول. وقد بان أن النبي — عليه السلام- اختارمن الآية التخيير،وما فعل ذلك إلا ملاءمة لطبعه،فقد فطروجبل عليه السلام على اللين والرحمة، يؤيد ذلك قوله تعالى"لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"(١)،أما عمر- رضى الله عنه- فقد فهم منها التسوية وهو ملائم لطبعه،ففى عمر- رضى الله عنه- شدة فى الحق وغيرة عليه،وقد وافق الوحى عمررضى الله عنه. هذا ومن العلماء من جعل الأمرللتسوية(٢)،ومنهم من جعله للتخيير(٣)،ومنهم من ذكرالمعنيين(٤).

ومن التسوية التى ذكراها فى حاشيتيهما ماورد فى قوله تعالى" اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"(٥) قال البيضاوي" اصلوها فاصبروا أولا تصبروا،أي ادخلوها على أي وجه شئتم من الصبْروعدمه، فإنه لا محيص لكم عنها،سواء عليكم،أي الأمران الصبروعدمه ،إنما تجزون ما كنتم تعملون، تعليل للاستواء فإنه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبروعدمه سيين في عدم النفع"(٦) قال شيخ زادة"اصبرواأولاتصبروا: أي الأمران سواء عليكم، أى صبركم وتركه مستويان فى عدم النفع"(٧) وقال الشهاب"وقوله: أي الأمران الخ، المراد بالأمرين

(١) سورة التوبة :١٢٨.

(٢) ينظر جامع البيان فى تفسير القرآن لجعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق/مكتب التحقيق بدارهجر:١١/٥٩٨- دار هجر — ط أولى — د.ت،والكشاف:٢/٢٩٤،٢٩٥، ونظم الدرر: ٣/٣٦٥، وإرشاد العقل السليم: ٤/٨٧، والتحريروالتنوير: ١٠/٢٧٧.

(٣) ينظر بحر العلوم:٢/٧٧.

(٤) ينظر المحرر الوجيز:٣/٦٤،والبحر المحيط:٦/٤٧١،وروح المعانى:١٠/١٤٧.

(٥) سورة الطور:١٦.

(٦) البيضاوي:٣/٣٣٠،٣٢٩.

(٧) حاشية شيخ زادة:٤/٣٠٥.

الصبر،وعدمه"(١) وما قرراه من التسوية للأمر فى الآية الكريمة ذكره العلماء(٢). هـذا ولصاحب الظلال تعليق أحسبه يأتى فى موطنه إذ قال "وليس أقسى على منكوب بمثل هذه النكبة، من أن يعلم أن الصبر وعدم الصبرسواء. فالعذاب واقع، ما له من دافع. وألمه واحد مع الصبر ومع الجزع. والبقاء فيه مقرر سواء صبر عليه أم هلع .. والعلة أنه جزاء على ما كان من عمل. فهو جزاء له سببه الواقع فلا تغيير فيه ولا تبديل!"(٣). ومن التسوية التى ذكراها فى حاشيتيهما أيضا ما جاء فى قوله سبحانه"وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"(٤) حيث يقول البيضاوي" وأسروا قولكم أواجهروا به إنه عليم بذات الصدور، بالضمائرقبل أن يعبرعنها سرا أوجهرا"(٥) ويقول شيخ زادة"وظاهره الأمربأحد الأمرين الإسرار والجهر،ومعناه الإخبار بأنه لافرق بين إسرار ماتخوضون فيه من الأقوال والأفعال وإعلانه فى علمه تعالى بذلك،واحذروا من ارتكاب مايكون معصية سرا كما تحذرون منه جهرا، ثم علل استواء الأمرين فى علمه تعالى بذلك فقال" إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"(٦) وقال الشهاب"وقوله:بالضمائرالخ، فيدل على استواء السروالجهرعنده؛لأنه يعلمها قبل التعبيرعنها فكيف بعده؟! فسواء السرّوالجهر،....فالمقصود استواء السروالجهر لديه"(٧) ولعل أبرزما أماط اللثام عن معنى التسوية هنا هو تلك الجملة التعليلية" إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"التى اتكأ عليها كل من زادة والشهاب. ومما ذكرقال به العلماء(٨). ومما ذكراه- أيضا- ما ورد فى قوله تعالى"قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْلَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا"(٩) قال البيضاوي" قل آمنوا به أولا تؤمنوا،فإن إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالاً وامتناعكم عنه لا يورثه

---

(١) حاشية الشهاب:٨/١٠٣.

(٢) ينظرالطبري:٢٢/٤٦٥،وبحر العلوم:٣/٣٣٣،والكشاف:٤/٤٠٩،والمحرر الوجيز:٥/١٨٧،ومفاتيح الغيب:٢٨/٢٠٥،والبحر المحيط:٩/٥٦٩، ونظم الدرر: ٧/٢٩٦،وإرشاد العقل السليم: ٨/١٤٧، وروح المعانى: ١٤/٣١، والتحريروالتنوير: ٢٧/٤٤.

(٣) فى ظلال القرآن ،سيد قطب إبراهيم:٦/٣٣٩٦- دار الشروق القاهرة- د.ت.

(٤) سورة الملك:١٣.

(٥) البيضاوي:٣/٤٢٦،٤٢٧.

(٦) حاشية شيخ زادة:٤/٤٢٥.

(٧) ينظرحاشية الشهاب:٨/٢٢٢.

(٨) ينظر بحر العلوم:٣/٤٥٣،والكشاف :٤/٥٧٩،والمحرر الوجيز:٥/٣٤٠،ومفاتيح الغيب:٣٠/٥٨٩،وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ،تحقيق: الشيخ زكريا عميران:٦/٣٢٧- دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان — ط أولى- ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م، وإرشاد العقل السليم:٩/٦، وروح المعانى:٢١/١٠١، والتحرير والتنوير:٢٩/٣٠.

(٩) سورة الإسراء:١٠٧.

نقصا"(١) وقال شيخ زادة"إنه تعالى خاطب الذين اقترحوا تلك المعجزات العظيمة على وجه التهديد والإنكارفقال"قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْلَا تُؤْمِنُوا"أى فقد أنزل الله — تعالى — وبلغ الرسول فاختاروا ما تريدون،وهو فى معنى الأمر بالإعراض عنهم،كأنه قال له: اتركهم ولا تبال بهم"(٢) وقال الشهاب "وقوله: آمنوا به أولا تؤمنوا للتسوية لما ذكره المصنف رحمه الله"(٣) معنى التسوية يشع من وراء هذا الأمر،وقول زادة" فاختاروا ماتريدون "لايوهم — إن توهم متوهم — أنه للتخيير،إذ المعنى إيمانكم به وعدم إيمانكم سيان،يقوى ويقررذلك الجملة التعليلية" إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا".

ومن خلال تعليقي زادة والشهاب على البيضاوي،ترى الشهاب أكثروضوحا،بل إنه نص على معنى التسوية نصا.هذا وبمعنى التسوية قال كثيرمن العلماء(٤)،بينما جعله ابن عطية مشتملا على الوعيد الناجم من التسوية(٥).

التخيير:

من المعانى البلاغية للأمرالتى ذكرها زادة والشهاب فى حاشيتيهما على البيضاوي التخيير،ومن ذلك ما ورد فى قوله تعالى"وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا...الآية"(٦) حيث قال البيضاوي"تعالوا قاتلوا في سبيل الله أوادفعوا،تقسيم للأمرعليهم وتخييربين أن يقاتلوا للآخرة أو للدفع عن الأنفس والأموال،وقيل معناه: قاتلوا الكفرة أوادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين "(٧) وقال شيخ زادة"أخبر الله- تعالى- أنهم مأمورون إما بالقتال،وإما بالدفع،أى تكثير سواد المسلمين دفعا عن أنفسهم وأموالهم من غيرتوقع ثواب الآخرة"(٨) وقال الشهاب"قوله:تقسيم للأمرعليهم الخ،الظاهرأن المراد بالأمرظاهره"(٩)كلام زادة والشهاب يخرج من مشكاة واحدة،بينما كان الشهاب أكثرإيجازا إذ قال المراد بالأمرظاهره،قاصدا معنى التخيير.وما

(١) البيضاوي:٢/٣٢٣.

(٢) حاشية شيخ زادة:٣/٢٤٥.

(٣) حاشية الشهاب:٦/٦٨.

(٤) ينظر بحر العلوم:٢/٣٣٢،ومفاتيح الغيب:٢١/٤١٧،ونظم الدرر:٤/٤٣٥،وروح المعانى: ١٥/١٩٠، والتحريروالتنوير: ١٥/٢٣٢.

(٥) ينظر المحرر الوجيز:٣/٤٩١.

(٦) سورة آل عمران من الآية:١٦٧.

(٧) البيضاوي:١/٣١٠.

(٨) حاشية شيخ زادة:٢/٨٧.

(٩) حاشية الشهاب:٣/٧٩.

ارتأياه ذكره العلماء(١) ومما ذكره الشهاب فى حاشيته من التخيير ولم يشرإليه شيخ زادة، ما جاء فى قوله تعالى"سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْأَعْرِضْ عَنْهُمْ....الآية"(٢) حيث قال البيضاوي"فإن جاؤوك فاحكم بينهم أوأعرض عنهم،تخييرلرسول الله – صلى الله عليه وسلم– إذا تحاكموا إليه بين الحكم والإعراض،ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان إلى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي،والأصح وجوبه إذا كان المترافعان أوأحدهما ذميا؛لأنا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم، والآية ليست في أهل الذمة، وعند أبي حنيفة يجب مطلقا"(٣) وقال الشهاب"قوله:لوتحاكم كتابيان إلى القاضي الخ،تحقيق المقام كما في كتاب الأحكام للجصاص(٤)– رحمه الله تعالى– أنّ هذه الآية ظاهرها التخيير،وهي معارضة لقوله تعالى"وأن احكم بينهم بما أنزل اللّه...."(٥) فذهب قوم إلى أنّ التخيير منسوخ بالآية الأخرى وأنه كان أوّلاً مخيراً،ثم أمربإجراء الأحكام عليهم، واليه ذهب كثير من السلف"(٦) ونحن فى الحقل البلاغي– بغض النظرعن الناسخ والمنسوخ– فقد نص الشهاب نصا ونقلا من الجصاص أن الأمرفيها للتخيير،وقد قال بذلك كثير من العلماء(٧)

الوعيد والتهديد:

من المعانى البلاغية للأمرالتى ذكرها زادة والشهاب فى حاشيتيهما على البيضاوي الوعيد والتهديد ومن ذلك ما ورد فى قول الحق سبحانه"قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"(٨)

---

(١) ينظر بحر العلوم:٢٨٨/١،والكشاف:٤٣٧/١،ومفاتيح الغيب:٤٢٣/٩،والبحر المحيط:٤٢٤/٣،ونظم الدرر:١٧٩/٢،وإرشاد العقل السليم:١١٠/٢،وروح المعانى:١١٨/٤.

(٢) سورة المائدة من الآية:٤٢.

(٣) البيضاوي:٤٣٨/١.

(٤) أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق/محمد الصادق قمحاوي:٢٣٩/٣– دار إحياء التراث العربي — بيروت–١٤٠٥ه.

(٥) سورة المائدة من الآية:٤٩.

(٦) حاشية الشهاب:٢٤٤/٣.

(٧) ينظرالطبري:٣٣٣/١٠،وبحر العلوم:٤١٥/١،والكشاف:٦٣٥/١،والمحرر الوجيز:١٩٤/٢،ومفاتيح الغيب/٣٧٤/١٢،والبحر المحيط: ٢٦٤/٤، ونظم الدرر:٤٥٨/٢، وإرشاد العقل السليم:٣٩/٣، والتحريروالتنوير: ٢٠٢/٦.

(٨) سورة التوبة:٢٤.

حيث قال البيضاوي"فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، جواب ووعيد "(١) وقال زادة"قوله:جواب ووعيد،أى لمن آثر حظوظ نفسه ورجح مهمات دنياه على مصلحة دينه"(٢) ويقول الشهاب"وفي هذه الآية وعيد وتشديد"(٣) هذا وقد ذهب كثيرمن العلماء إلى معنى التهديد والوعيد للأمرفى الآية الكريمة(٤)، بل منهم من وصفه بأنه وعيد بين كابن عطية(٥)،ومنهم من وصفه بأنه تهديد بليغ كالبقاعي(٦).ومن التهديد لأسلوب الأمرالذى ذكراه ماجاء في قوله تعالى" وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ"(٧). إذ قال البيضاوي" قل تمتعوا...تهديد بصيغة الأمر"(٨) وقال زادة"لما كانت صيغة الأمرموضوعة لطلب الفعل ولوعلى طريق الندب التمتع بالشهوات غيرمطلوب بوجه ما، فضلا عن أن يكون وسيلة إلى مطلوب آخر،هوكون المصيرإلى النارجعل المصنف صيغة الأمرللتهديد،كقول الطبيب للمريض الذى خالف أمره بترك الاجتناب عما يضره بعدما أمره الطبيب به مرات:كُل ما شئت فإن مصيرأمرك إلى الموت، يريد به التهديد ليرتدع المريض عما هوعليه،ويقبل قول الطبيب، فكذلك الله – تعالى- ترك الكفاروخلاهم وأنفسهم قائلا تمتعوا والمقصود ردعهم عن تلك الحالة"(٩) وقال الشهاب"قوله: وفي التهديد بصيغة الأمر..... الخ) في الكشاف تمتعوا إيذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر،وأنهم لا يعرفون غيره،ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمرمطاع لا يسعهم أن يخالفوه،ولا يملكون لأنفسهم أمرا دونه،وهو أمر الشهوة،والمعنى إن دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمرالشهوة فإنّ مصيركم إلى النار،ويجوزأن يراد الخذلان والتخلية،والوجهان مشتركان في التهديد،وسيأتي له تفصيل في سورة العنكبوت،وهكذا كقول الطبيب لمريض يأمره بالاحتماء فلا يحتمي: كُل ما تريد فإنّ مصيرك إلى الموت"(١٠) ومن خلال النظرفى قولي زادة والشهاب نجدهما يخرجان من مشكاة واحدة،إلا أن الشهاب ذكرمعنى بلاغيا آخرسوى التهديد وهوالخذلان والتخلية، وقررأن الوجهين مشتركان فى معنى التهديد،وماذكراه قال

(١) البيضاوي:٢/٤٥.

(٢) حاشية زادة:٤/٤٤٣.

(٣) حاشية الشهاب:٤/٣١٣.

(٤) ينظر الكشاف:٢/٢٥٧،والمحررالوجيز:٣/١٨،ومفاتيح الغيب:١٦/١٧،والبحر المحيط:٥/٣٩٢،وإرشاد العقل السليم:٤/٥٥، والتحريروالتنوير:١٠/١٥٢.

(٥) المحرر الوجيز:٣/١٨.

(٦) نظم الدرر:٣/٢٩٢.

(٧) سورة إبراهيم:٣٠.

(٨) ينظرالبيضاوي:٢/٢٢٤.

(٩) حاشية شيخ زادة:٣/١٣٥.

(١٠) حاشية الشهاب:٥/٢٦٧.

به العلماء(١) ومن التهديد الذى ذكراه فى حاشيتيهما ما جاء فى قوله سبحانه"لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ"(٢) يقول البيضاوي"فتمتعوا،أمرتهديد"(٣) وقال شيخ زادة"الأمرالوارد للتهديد"(٤) وقال الشهاب"وقوله"أمرتهديد"هوأحد معاني الأمرالمجازية كما يقول السيد لعبده افعل ما تريد،....والمقصود من الأمرالتهديد بتخليتهم،وما هم فيه لخذلانهم "(٥) فإنك تجد زادة قد اكتفى بالقول أن الأمرللتهديد، دونما تعليل أوتحليل أوتمثيل،على النقيض عما ذكره الشهاب حيث بين أن طريق إفادة الأمرهنا هو طريق المجازوشرح ذلك معلا وممثلا.

هذا وماذكراه من معنى التهديد لأسلوب الأمرفى الآية قال به العلماء(٦) ومما ذكراه فى حاشيتيهما للأمر المفيد للتهديد ماجاء فى قوله تعالى"قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"(٧) قال البيضاوي" قل يا قوم اعملوا على مكانتكم ،على غاية تمكنكم واستطاعتكم .....،وهو أمرتهديد والمعنى: اثبتوا على كفركم وعداوتكم..... والتهديد بصيغة الأمرمبالغة في الوعيد،كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالأمرعلى ما يفضي به إليه،وتسجيل بأن المهدد لا يتأتى منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن ينقضي عنه "(٨) ويقول شيخ زادة"وقوله: تسجيل بأن المهدد لا يتأتى منه إلا الشر كالمأموربه" يريد أن الأمرللتهديد"(٩) ويقول الشهاب "الأمرللتهديد"(١٠) وما ذكراه قال به العلماء.(١١) ومما ذكراه فى حاشيتيهما للأمر المفيد للتهديد ما جاء فى قول الحق سبحانه "وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ

---

(١) ينظر الكشاف:٢/٥٥٥،والمحرر الوجيز:٣/٣٣٨،ومفاتيح الغيب:١٩/٩٥،والبحر المحيط:٦/٤٣٦،٤٣٧،ونظم الدرر:٤/١٨٧،وإرشادالعقل السليم:٥/٤٦،وروح المعانى:١٣/٢٢٠.

(٢) سورة النحل:٥٥.

(٣) البيضاوي:٢/٢٦٦.

(٤) حاشية شيخ زادة:٣/١٨٣.

(٥) ينظرحاشية الشهاب:٥/٣٣٩.

(٦) ينظر الكشاف:٢/٦١٢،والمحرر الوجيز:٣/٤٠١،ومفاتيح الغيب:٢٠/٢٢٣،والبحر المحيط:٦/٥٤٦،ونظم الدرر:١٤/٢٧٩،وإرشادالعقل السليم:٥/١٢٠،وروح المعانى:٧/٤٠٦.

(٧) سورة الأنعام:١٣٥.

(٨) ينظر البيضاوي:١/٥٢٠.

(٩) حاشية شيخ زادة:٢/٣١٠.

(١٠) حاشية الشهاب:٤/١٢٧.

(١١) ينظر المحرر الوجيز:٢/٣٤٨،والكشاف:٢/٦٨،ومفاتيح الغيب:١٣/٥٧،والبحر المحيط،٤/٦٥٣،ونظم الدرر:٢/٧٢٠،وإرشاد العقل السليم:٣/١٨٨،وروح المعانى:٤/٢٤٧،والتحرير والتنوير:٨/٩٠.

بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"(١) إذ قال البيضاوي" قل تمتع بكفرك قليلا، أمر تمديد فيه إشعار بأن الكفر نوع تَشَهٍّ لا سند له، وإقناط للكافرين من التمتع في الآخرة؛ ولذلك علله بقوله" إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"على سبيل الاستئناف للمبالغة"(٢) وقال شيخ زادة عن الأمرفى الآية"لايصح كونه أمرإيجاب،أوندب،أوتخيير،وهو هوظاهر فلا محل له سوى التهديد والمبالغة فى خذلانه وتخليته وشأنه"(٣) ويقول الشهاب" قوله:أمر تمديد..... الخ لما كان الأمربالتمتع بالكفرأمراً بالكفرفى الحقيقة،والله لا يأمربالفحشاء جعله الزمخشريّ مجازاًعن الخذلان والتخلية بتشبيه المخذول الذي خلى وشأنه بالمأمور..... والمصنف جعله للتهديد بجامع التمكين من الفعل فيهما كقولك في الغضب لمن عصاك اصنع ما شئت"(٤) ومن خلال تعليقي زادة والشهاب على قول البيضاوي تجد زادة قلب الأمرعلى معان عدة: الإيجاب، والندب، والتخيير، ورأى أن جميعها لايصح والمعنى المراد الملائم للسياق والمقام،واستقرعلى معنى التهديد والمبالغة فى الخذلان والتخلية،أما الشهاب فتجده ينقل عن الزمخشري قبل البيضاوي، ويذكروجهتى نظريهما دون ميل إلى أيهما،وما نقله عن الزمخشري إنماهوتوضيح وشرح للعبارة الواردة فى الكشاف وهى:"وقوله:" تمتع بكفرك"من باب الخذلان والتخلية"(٥) فقد جعل الشهاب التعبيربفعل الأمر" تمتع بكفرك"إما على سبيل الاستعارة التبعية أو المكنية على رأى الزمخشري،وإما أمرغرضه البلاغي التهديد. والحق أن آراء العلماء قد تباينت إزاء المراد من وراء فعل الأمرهنا،فما ذكره كل من زادة والشهاب من معنى التهديد- كما قال بذلك البيضاوي – قال به جل العلماء(٦). وذهب أبو حيان إلى رأي الزمخشري(٧)، أما الطاهربن عاشورفكان نسيج وحده فذهب إلى معنى الإنذاروالوعيد(٨). ومما ذكره شيخ زادة للأمرالمفيد للتهديد، ولم يشرإليه الشهاب، ماجاء فى قوله تعالى" وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا"(٩)

(١) سورة الزمر:٨.

(٢) البيضاوي:٣/١٨٣.

(٣) حاشية شيخ زادة:٤/٩٨.

(٤) ينظر الشهاب:٧/٣٣٠.

(٥) الكشاف:٤/١١٦.

(٦) ينظر بحر العلوم:٣/١٧٢، والمحرر الوجيز: ٤/٢٢٥، ومفاتيح العلوم: ٢٦/٤٢٨، ونظم الدرر: ٦/٤٢٦، وإرشاد العقل السليم:٧/٢٤٥.

(٧) ينظر البحر المحيط:٩/١٨٨.

(٨) التحرير والتنوير:٢٣/٣٤٤.

(٩) سورة الإسراء:٦٤.

قال البيضاوي"وَاسْتَفْزِزْ"واستخفف من استطعت منهم ...."وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ"وصِحْ عليهم من الجلبة وهي الصياح،....."وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ"بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي،"وَالْأَوْلَادِ"بالحث على التوصل إلى الولد بالسبب المحرم والإشراك فيه بتسميته عبد العزى،والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة"وَعِدْهُمْ"المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخيرالتوبة لطول الأمل"(١) وقال شيخ زادة"فإن قيل:كيف أمرالله إبليس بهذه الأشياء،وهو يقول"إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ"؟(٢)والجواب:أنه ليس أمرتكليف،بل هوأمرتهديد كقوله تعالى"اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ"(٣)ويتضمن تعجيزإبليس فى تعريفه أن ذلك لايضر الله شيئا ولا ينقص من ملكه شيئا،وأن سلطان إبليس إنما يجرى على الجهال الذين قد أخرجهم الله — تعالى- من جملة من شرفهم بعبوديته"(٤) وبالنظرة العجلى تجد أن زادة يرى فى هذه الأوامرإفادتها للتهديد والتعجيز،وماذكره شيخ زادة قال به العلماء(٥) بينما رأى الزمخشري أن الأوامر للتخلية والخذلان، واستشهد بالآية نفسها التى ذكرها زادة"اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ"(٦). وفى مواطن كثيرة من حاشية الشهاب تجد أساليب للأمرأفادت التهديد،ولم يشرإليها شيخ زادة فمن ذلك ما جاء فى قوله تعالى"لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ"(٧). يقول البيضاوي"ليكفروا بما آتيناهم،اللام فيه للعاقبة، وقيل للأمر بمعنى التهديد لقوله"فتمتعوا"غيرأنه التفت فيه مبالغة"(٨). وقال الشهاب"قوله: للأمربمعنى التهديد، كما يقال عند الغضب اعصنى ما استطعت وقوله "لقوله فتمتعوا...الخ، فإنّ بينهما مناسبة في الأمرالتهديدي"(٩) وما ذكره الشهاب قال به العلماء(١٠). وقد يعتمد الشهاب على قراءة من القراءات فيردد الأمربين معنيين بلاغيين دون ترجيح أحدهما على الآخر، وذلك كما جاء فى قوله سبحانه"وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ"(١١) حيث

---

(١) البيضاوي:٢/٣١٠.

(٢) سورة الأعراف من الآية:٢٨.

(٣) سورة فصلت من الآية:٤٠.

(٤) حاشية شيخ زادة:٣/٢٣٢.

(٥) ينظر:المحرر الوجيز:٣/٤٧٠،ومفاتيح الغيب:٢١/٣٦٨،والبحر المحيط:٧/٧٩.

(٦) ينظر الكشاف:٢/٦٧٨.

(٧) سورة الروم:٣٤.

(٨) البيضاوي:٣/٥٢.

(٩) الشهاب:٧/١٢٢.

(١٠) ينظربحر العلوم:٣/١٢،والكشاف:٢/٦١٢،والمحر الوجيز:٤/٣٣٧،ومفاتيح الغيب:٢٥/٧٦،والبحر المحيط:٨/٣٩٢،وإرشاد العقل السليم:٧/٦١،وروح المعانى:١١/٤٢،والتحرير والتنوير:٢١/٣٣.

(١١) سورة الأنعام:١١٣.

قال البيضاوي"عطف على غرورا، إن جعل علة أومتعلق بمحذوف أي وليكون ذلك، جعلنا لكل نبي عدوا، والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا: اللام لام العاقبة، أولام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أولام الأمروضعفه أظهر"(١) فقال الشهاب" قوله: أولام الأمروضعفه أظهر، أي من ضعف القسمية، وفي نسخة ظاهرلعدم حذف حرف العلة من آخره ويؤيده أنه قرئ بحذفها، وقرئ بتسكين اللام، وحرف العلة قد يثبت في مثله كما خرج عليه قراءة"أرسله معنا غداً نرتعي ونلعب"(٢)"وإنه من يتقي ويصبر"(٣) فليكن هذا مثله، والأمرحينئذ للتهديد أو للتخلية"(٤) فالشهاب هنا يعرض لنوع اللام فى الأوامر"لتصغى، ليرضوه ،ليقترفوا"حيث نقل أنه قيل فيها تارة أنها لام العاقبة، وتارة لام القسم، وتارة ثالثة لام الأمر، وأن القول بذلك ضعفه ظاهر، ويقف مع الفعل "لتصغى" فيعلل لبقاء حرف العلة إذا ما قرئ بتسكين اللام فقرئ "وَلْتَصْغَى" على أنه أمر، واستشهد لذلك بآيتي سورة يوسف السابقتين ، قائلا فليكن هذا مثله، وعلى ماذهب إليه يقررأن الأمريكون حينئذ غرضه البلاغي إما التهديد وإما التخلية. هذا وماذكره الشهاب قال به العلماء(٥)

التخلية:

من المعانى البلاغية التى ذكرها كل من زادة والشهاب لأسلوب الأمرفى حاشيتيهما التخلية. فمن ذلك ماجاء فى قوله تعالى"ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ"(٦) حيث قال البيضاوي"ذرهم :دعهم يأكلوا ويتمتعوا، بدنياهم، ويلههم الأمل، ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال عن الاستعداد للمعاد، فسوف يعلمون سوء صنيعهم إذاعاينوا جزاءه"(٧). وقال زادة "مرهم أمر تمديد بأكل الطعام والتمتع فيها أياما قلائل فسوف يعلمون سوء صنيعهم"(٨)

---

(١) البيضاوي:١/٥١٣.

(٢) سورة يوسف من الآية:١٢،قرأها نافع والكوفيون بالياء،وجزمهما الباقون،الكافى فى القراءات السبع لأبى عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، تحقيق/أحمد محمودعبد السميع الشافعى:١٣١- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط أولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(٣) سورة يوسف من الآية:٩٠،وهذه القراءة رواها قنبل عن ابن كثير بإثبات الياء ، الحجة فى القراءات السبع للإمام ابن خالويه ، تحقيق وشرح د/عبد العال سالم مكرم:١٩٨ – دار الشروق – الكويت – ط ثالثة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٤) الشهاب:٤/١١٦.

(٥) ينظرالمحرر الوجيز:٢/٣٣٦،ومفاتيح الغيب:١٣/١٢٢،والبحر المحيط:٤/٦٢٦،٦٢٧،وروح المعانى:٤/٢٥٣.

(٦) سورة الحجر:٣.

(٧) البيضاوي:٢/٢٣٤.

(٨) حاشية شيخ زادة:٣/١٤٦.

وقال الشهاب"قوله:دعهم،تفسيرلـ"ذرهم" بمعنى دع،واترك .....والمراد من الأمر التخلية بينهم وبين شهواتهم إذ لم تنفعهم النصيحة والإنذار"(١) وبالنظرفيما قاله البيضاوي تجده يحمل معنيي التخلية والوعيد والتهديد،وزادة تجده يصرح بمعنى التهديد،أما الشهاب فيصرح بمعنى التخلية،والحق أنها جميعا معان متقاربة متشابكة متداخلة ،فما ذكره زادة قاله ابن عطية(٢)وما ذكره الشهاب قال به علماء(٣)

ومن التخلية التي ذكراها في حاشيتيهما ما جاء في قوله تعالى" قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُوراً"(٤) قال البيضاوي"قال اذهب:امض لما قصدتَه،وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه"(٥) وقال زادة"قوله:امض لما قصدته، يعني أن قوله تعالى"اذْهَبْ"ليس من الذهاب الذى هو ضد المجيئ،وإنما معناه:امض لشأنك الذى اخترته،والمقصود التخلية وتفويض الأمر إليه"(٦) وقال الشهاب" قوله:وهو طرد وتخلية الخ،يعني ليس المراد به حقيقته وهو الأمر بالذهاب ضد المجيء بل المراد به تخليته،وما أراد كما تقول لمن يخالفك:افعل ما تريد،وينبغي أن يحمل قوله طرد على أنه إهانة له؛لأنه المقصود من التخلية لكن إن بقي على ظاهره فيه جمع بين الحقيقة والمجازوهو جائزعند المصنف"(٧) وبالنظرفي تعليق زادة نجده ينص على معنى التخلية نصا ويشفعه بمعنى التفويض. أما تعليق الشهاب فنراه فيه قدتجاوزمرحلة النص على المعنى البلاغي لأسلوب الأمرفي الآية الكريمة،بل بمعن في إيضاحه وشرحه،بل ويذكر لفتة بلاغية أخرى تقوى وتشد من أزرالمعنى البلاغي للأمر،كوقفته على معنى:الطرد في الآية بأنه يحمل على أنه إهانة،ويربطه بالمعنى المراد من الأمر،وفي لفتة مهمة أخرى يشير إلى أن البيضاوي يجيز الجمع بين الحقيقة والمجاز؛وذلك أنه لما كان المقصود من فعل الأمرمعنى التخلية، صارالأليق والأنسب حمل قول البيضاوي"طرد" معنى الإهانة ،وأنه في حال عدم حمل الطرد على الإهانة،ويكون المراد به حقيقة الطرد، فيكون في الكلام مجاز- وهو المعنى البلاغي للأمر- وحقيقة — وهوالطرد على ظاهره — وينهى الشهاب قوله بتلك المقولة للبيضاوي" فيه جمع بين الحقيقة والمجازوهو جائزعند المصنف "(٨). هذا وماذكراه ذهب إليه جل العلماء(٩)وهناك من حمل معنى الأمرعلى التهديد(١٠)، وهناك من جعله للتسوية حيث قال"الذهاب ليس مرادا به الانصراف،بل

---

(١)الشهاب:٥/٢٨٣.

(٢) المحرر الوجيز:٣/٣٥٠.

(٣) بحر العلوم:٢/٢٥١،والكشاف:٢/٥٧٠،ومفاتيح الغيب:١٩/١١٩،والبحر المحيط/٦/٤٦٥،وإرشاد العقل السليم:٥/٦٤، وروح المعاني:٧/٢٥٦.

(٤) سورة الإسراء:٦٣.

(٥) البيضاوي/٢/٣٠٩.

(٦) حاشية شيخ زادة:٣/٢٣١.

(٧) الشهاب:٦/٤٦.

(٨) البيضاوي:٢/٣٠٩، والشهاب:٦/٤٦.

(٩) ينظر الكشاف:٢/٦٧٧،ومفاتيح الغيب:٢١/٣٦٧،والبحر المحيط:٧/٧٩،وإرشاد العقل السليم:٥/١٨٣.

(١٠) المحرر الوجيز:٣/٤٧٠،ونظم الدرر:١٥/١١٠.

هو مستعمل فى الاستمرارعلى العمل،أى امض لشأنك الـذى نويتـه، وصـيغة الأمرمسـتعملة فى التسوية"([1]). ومما ذكره الشهاب فى حاشيتـه للأمـرالمفيد للتخلية مصحوبا بالخذلان ماورد فى قول الحق سبحانـه"وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ"([2]) قـال البيضاوي" جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغاروالطرد،وقال مجاهد ما مسخت صـورهم ولكن قلوبهم،فمثلوا بالقردة كما مثلـوا بالحمـارفى قولـه تعـالى"... كَمَثَـلِ الْحِمَـارِ يَحْمِـلُ أَسْفَاراً..."([3])([4]). قال الشهاب" قوله:قال مجاهد الخ،فيكون المقصود منه تشبيههم بالقردة والخنازير كقوله:([5]) إذا أنت لم تعشق و لم تدرما الهوى فكن حجراً من يابس الصخرجلمدا كما يقال:أنت لا تقبل التعلم فكن حماراً،أي اذهب وكن شبيه حمار،والأمرمجازعن التخلية والترك والخذلان كمـا في قوله عليه الصلاة والسلام"اصْنَعْ مَا شِئْتَ"([6])([7]) فقد جعـل الشـهاب الخـذلان معـنى مرافقـا للتخلية،وهوهنا يشرح الغرض البلاغي ويزيده جلاء وإيضـاحا فيمثـل لـه بمثـال تـأليفي مـن عنده،وبالحديث الشريف والشعر.

ومماذكره الشهاب فى حاشيته للأمرالمفيد للتخلية مصحوبا بالخذلان ما جاء فى قول الحق سبحانه" قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي*فاعْبُدُوامَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُواأَنفُسَهُمْ وَأَهْلِـيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَالْخُسْرَانُ الْمُـبِينُ"([8]) قـال البيضـاوي" قُـلِ اللَّـهَ أَعْبُـدُ مُخْلِصـاً لَّـهُ دِينِي"أمربالإخبارعن إخلاصه،وأن يكون مخلصا له دينه بعد الأمربالإخبارعن كونه مأمورا بالعبـادة والإخلاص خائفا عن المخالفة من العقاب قطعا لأطماعهم ولذلك رتب عليه قوله"فاعْبُدُوامَا شِـئْتُم مِّن دُونِهِ"تهديدا وخذلانا لهم"([9]) قال الشهاب"وقوله تهديدا الخ، تعليل لقوله"قوله"وهو إشارة إلى مـا مرّمن أنّ الأمر مجازعن التخلية والخذلان"([10]).

---

(١) التحرير والتنوير:١٥٢/١٥.

(٢) سورة البقرة:٦٥.

(٣) سورة الجمعة من الآية:٥.

(٤) البيضاوي:١٠٨/١.

(٥) ديوان الأحوص بن محمد الأنصاري:٣٥/١.

(٦) الحديث بتمامه" إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ:إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"وهو فى الأدب المفرد لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق/ محمد فؤاد عبـدالباقي:١٠٩/١ – دار البشـائر الإسلامية – بيروت– ط ثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٧) الشهاب:١٧٥/٢.

(٨) سورة الزمر:١٤،١٥.

(٩) البيضاوي:١٨٥/٣.

(١٠) الشهاب:٣٣٣/٧.

ومما يسترعى الانتباه أن الشهاب يكثر فى غير موضع من النقل من الكشاف بتصريح تارة ودون تصريح تارة أخرى،ومن المواطن التى يكاد يكون التعليل للمعنى البلاغي واحدامثل هذا الموضع، فالزمخشري فى وقوفه على معنى التخلية والخذلان لمعنى الأمرهنا قال" والمراد بهذا الأمر.....المبالغة في الخذلان والتخلية ، على ما حققت فيه القول مرتين"ويقول الشهاب فى الموضع ذاته" وهو إشارة إلى ما مرّ من أنّ الأمر مجاز عن التخلية والخذلان وقد عرفته" فكأن القولين يخرجان من مشكاة واحدة.

هذا وقد ذهب إلى معنى التخلية والخذلان من العلماء الزمخشري،وأبوحيان ،والطاهربن عاشور(١)،بينما ذهب الباقون إلى معنى التهديد والتخويف قياساعلى قوله تعالى" اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"(٢)(٣).وكلما زادت المعانى البلاغية للأمرحدة وقوة كلما رام الشهاب السيطرة عليها بعدة معانى بلاغية،فمما ذكره فى حاشيته إفادة الأمرللتخلية مصحوبا بالخذلان والتهديد ماجاء فى قوله عزوجل"لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ"(٤) قال البيضاوي" ليكفروا بما آتيناهم،اللام فيه لام كي أي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة،وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادهم عليها،أولام الأمرعلى التهديد،ويؤيده قراءة ابن كثيروحمزة والكسائي وقالون عن نافع "ولْيتمتعوا "بالسكون "(٥).قال الشهاب:قوله:أو لام الأمرالخ،....والتمتع مجاز في التخلية والخذلان والتهديد كما تقول لمن يخالفك في الغضب افعل ما شئت،ووجه التأييد أنّ لام كي لا تسكن وقوله" فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ"مؤيد للتهديد أيضا"(٦). اتكأ الشهاب هنا فى الوقوف على المعنى البلاغي لأسلوب الأمرعلى عدة أمور:الأول:لغوي محض:وهو المتمثل فى قوله"ووجه التأييد أن لام (كى)لا تسكن". الثاني:الاعتماد على القراءة القرآنية التى أشارإليها البيضاوي فى تفسيره. الثالث:قول الشهاب"وقوله تعالى" فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ"مؤيد للتهديد أيضا". ولعل هذا التعدد فى المعنى البلاغي للأمرراجع إلى:أن معناه يكاد يكون خفيا وسانحا ومتفلتا،وأننا نحاول السيطرة عليه بمثل هذه الأوصاف الكثيرة الناقصة التى نتوهم أنها تحيط به،ولكنها لا تستخرج منه إلا بعض إشاراته،أولاتصف منه إلا ما يظهر،وترى ذلك كثيرا فى الأساليب الثرية والسياقات الحية(٧).

---

(١) الكشاف:١١٩/٤،والبحر المحيط:١٩١/٩،والتحريروالتنوير:٣٥٩/٢٣.

(٢) سورة فصلت من الآية:٤٠.

(٣) بحر العلوم:١٧٢/٣،والمحررالوجيز:٥٢٤/٤،ومفاتيح الغيب:٤٣٣/٢٦،ونظم الدرر:٤٣١/٦،وإرشاد العقل السليم:٢٤٧/٧،وروح المعانى:٢٥٠/٢٣.

(٤) سورة العنكبوت:٦٦.

(٥) البيضاوي:٤٢/٣.

(٦) الشهاب:١١٠/٧.

(٧)دلالات التراكيب دراسة بلاغية :٢١٨(بتصرف)

الدعـــاء:

من المعاني البلاغية للأمر التي ذكرها زادة والشهاب في حاشيتيهما على البيضـــاوي الـــدعاء،ومن ذلك ما ورد في قول الحق سبحانه" وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُـــوا حَتَّـــى يَـــرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ"(١) قال البيضاوي"ربنا ليضلوا عن سبيلك،دعاءعليهم بلفظ الأمربما علم مـــن ممارســـة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس"(٢) وأورد شيخ زادة ثلاثة أوجه لـــلام في قولـــه تعالى"ليضلوا"أحدها ماأفادالدعاء حيث قال"أن تكون لأمرالغائب بمعنى الدعاء عليهم،كأنه قيل:ليثبتوا على ماهم عليه من الضلال والإضلال،وليكونوا ضلالا مضلين،وإنما دعا عليهم بذلك بعدما عـــرض عليهم آيات الله وبيناته مكررا وردَّد عليهم النصائح والمواعظ زمانـــا طويلا،وحـــذرهم عـــذاب الله وانتقامه،وأنذرهم عاقبة ماكانوا عليه من الكفروالضلال،ورآهم لايزيدون على عـــرض الآيـــات إلا كفرا،وعلى الإنذارإلا استكبارا،وعلى النصيحة إلا بعدا،ولم يبق له مطمع فيهم،وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لايجيئ منهم إلا الغي والضلال،وأن إيمانهم كالأمرالمحال،فاشتد غضبه عليهم،وأفرط مقتـــه وكراهته لحالهم،فدعا الله-تعالى-عليهم بما علم أنه لايكون غيرذلك ليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة،وأنهم لايستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم"(٣) وقال الشهاب" قوله:دعاء عليهم بلفظ الأمر،ذكروا فيه ثلاثة أوجه لأنّ اللام لام الأمر ،والفعل مجزوم والأمرللدعاء،أولام التعليل،أولام العاقبة والصيرورة والفعل منصوب؛ وقدم الدعاء على غيره إشارة لترجيحه كمـــا في الكشـــاف"(٤) ويعضد الشهاب معنى الدعاء بالتقديم الوارد في الآية - وهو من كلام موسى(عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) — فيقول:وانتظام الكلام هوأنّ موسى- عليه الصلاة والســـلام- ذكرقولـــه"إنك آتيـــت الخ،تمهيداً للتخلص إلى الدعاء عليهم أي:أنك أوليتهم هذه النعم ليعبدوك ويشكروك،فما زادهم ذلك إلا كفراً وطغيانا،فليضلواعن سبيلك،ولودعا ابتداء لم يحسن؛فلذا قدم الشكاية من سوء حالهم ثم دعا عليهم فلم ينكرذلك منه"(٥) الملحوظ أن كلا من زادة والشهاب ذكـــرا معـــنى الـــدعاء للأمـــر في الآية،وقدأسهب زادة في إبراز وتوضيح ذلك المعنى،بينما أشارالشهاب إلى ذلك مضيفا وكاشـــفاعن علة تقديم معنى الدعاء على المعنيين الآخرين- المترتبين على لام العاقبة،ولام التعليل- وهو أنه المعـــنى المرجح، وأوعزإلى أن ذلك قد ورد في الكشاف،كما حَسَّنَ معنى الدعاءللأمر وقـــواه بالإشـــارة إلى

(١) سورة يونس:٨٨.

(٢) البيضاوي:٢/١١٤.

(٣) حاشية شيخ زادة:٣/٢٧.

(٤) حاشية الشهاب:٥/٥٥.

(٥) ينظرالسابق:٥/٥٥.

التقديم الوارد في الآية الكريمة المتمثل في قول موسى عليه السلام" رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" وأن ذلك كان بمثابة التوطئة والتمهيد ليخلص إلى الدعاء عليهم،وأنه لودعا ابتداء لم يحسن؛وذلك لتعارضه مع مهمة الدعوة إلى الله وإرادة الخير للناس.

هذا وقد قال بمعنى الدعاء للأمرلفيف من العلماء(١)ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى"هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"(٢) حيث قال البيضاوي"قل موتوا بغيظكم، دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به"(٣) وقال شيخ زادة"أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم أن يدعوعليهم إلى أن يموتوا،فلوكان المأموربه الدعاء بأن يموتوا بالغيظ لماتوا جميعا بدعائه – صلى الله عليه وسلمبذلك،فإن قيل الغيظ من قوة الإسلام وازدياد أهله،وائتلافهم واجتماع كلمتهم كفر،فالدعاءعليهم بدوام الغيظ وزيادته يكون أمرا بالإقامة على الكفروالثبات عليه وذلك غيرجائز،والجواب أن دوام الغيظ وازدياده كناية عن تضاعف ما يوجب هذا الغيظ وهو نصرة الإسلام وعزة أهله،فسقط السؤال،وأيضا أنه دعاء عليهم بالموت قبل بلوغ ما يتمنون" (٤) وقال الشهاب"قوله:دعاء عليهم بدوام الغيظ الخ، هذا من الكناية؛ لأنّ الموت على الغيظ يلزمه استمراره عرفا،ويلزم من ذلك قوّة الإسلام وتزايده عصراً بعد عصر قال النحريررحمه الله: يشير إلى أنه من كناية الكناية غير مدعي موتهم بالغيظ بل ملزومه الذي هو دعاء ازدياد غيظهم إلى حد الهلاك وبه عن ملزومه الذي هو قوّة الإسلام وأهله؛ وذلك لأنّ مجرّد الموت بالغيظ أوازدياده ليس مما يحسن أن يطلب ويدعي.

(قلت) المجاز على المجاز مذكور، وأمّا الكناية على الكناية فنادرة وقد صرح بها السبكي في قواعده الأصولية ونقل فيها خلافا إلا أنه ما الفرق بين الكناية بوسايط والكناية على الكناية فإنه محتاج إلى التأمل الصادق. ومن العجب ما قيل كونه دعاء عليهم مما اتفقت عليه كلمتهم وفيه خفاء؛إذ في الدعاء لا يخاطب المدعوّ عليه بل اللّه– تعالى– ويسأل منه ابتلاؤه،وهوغفلةعن قولهم "قاتلك الله"وقولهم"دم بعز"و"بت قرير عين" وغيره مما لا يحصى"(٥)

---

(١) ينظربحر العلوم:١٢٩/٢،والمحرر الوجيز:١٣٩/٣،والكشاف:٣٦٥/٢،والبحر المحيط:٩٩/٦،ومفاتيح الغيب:٢٩٣/١٧، ونظم الدرر: ١٢٩/٢، وإرشاد العقل السليم: ١٧٢/٤، وروح المعاني: ١٧٢/١١، ١٧٣، والتحريروالتنوير: ٢٦٨/١١.

(٢)سورة آل عمران:١١٩.

(٣) البيضاوي:٢٩١/١.

(٤) حاشية شيخ زادة:٦٧/٢.

(٥) حاشية الشهاب:٥٨/٣.

الـــدوام

من المعاني البلاغية للأمرالتي ذكرها زادة والشهاب في حاشيتيهما على البيضاوي الدوام، ومـــن ذلك ما ورد في قوله سبحانه" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًـــا حَكِيمًا"(١) قال البيضاوي"أمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الأمربالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله"وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ"فيما يعود بوهن في الدين"(٢) وقـــال شيخ زادة"قوله:والمراد به الأمربالثبات عليه،جواب عما يقال المشتغل بالشيئ لايؤمر بـــه،فلا يقـــال للجالس مثلا اجلس،فكيف أمر- عليه الصلاة والسلام- بالتقوى وهو مشتغل بها؟ وتقريرالجـــواب: المشتغل بالشيئ إذا أمربه لايكون المطلوب إحداث أصل الفعل؛لأنه طلب تحصيل الحاصل،بل يكـــون المطلوب الثبات عليه بالجد والاهتمام وعدم الميل إلى ما ينافيه"(٣) وقال الشهاب" قولـــه:تعظيماً لـــه وتفخيماً لشأن التقوى .....الخ،وأمره بما ذكر تفخيماً وتعظيماً للتقوى نفسها حيث أمربها مثله؛فإنّ مراتبها لا تتناهى مع أنّ المقصود الدوام والثبات عليها"(٤) يتضح من خلال تعليق شـــيخ زادة علـــى قول البيضاوي أنه أبدى وأعاد في تأصيل تلك القاعدة البلاغية في توجيه الأمرلمن هو متلبس بفعـــل ذلك الأمر،وأن ذلك -إن كان على الحقيقة- سيلزم منه طلب تحصيل الحاصل وهذا يعـــد لغـــوا في الكلام، فوجب البحث له عن معنى يتوافق والحالة تلك، فكان المراد هو معـــنى الـــدوام والثبـــوت والاستمرار. أما الشهاب فقد انطلق من فوره لإرادة ذلك المعنى دون كبير تفصيل، ولعل الســـبب في ذلك أسبقية زادة زمانا على الشهاب. وماذكراه من إرادة معنى الثبات والدوام للأمر"اتـــق" في الآيـــة السابقة قال به العلماء(٥). ومما ذكراه في حاشيتيهما للأمرالمفيد للدوام ما جاء في قوله تعالى"فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ"(٦) حيث قال البيضاوي" قدم على الصلاة خالصا لوجه الله — تعالى - خلاف الساهي عنـــها المرائي فيها، شكرالإنعامه فإن الصلاة جامعة لأقسام الشكر"(٧) وقال شـــيخ زادة" إذا تقـــرر عنـــدك مافضلت به من الكوثر قدم على الصلاة الجامعة لأنواع العبادة"(٨) وقال الشهاب" قوله: فـــدم علـــى

---

(١) سورة الأحزاب:١.

(٢) البيضاوي:٣/٧٦.

(٣) حاشية شيخ زادة:٣/٥٧٣.

(٤) حاشية الشهاب:٧/١٥٦.

(٥) الكشاف: ٣/٥١٩، والمحرر الوجيز: ٤/٣٦٧، ومفاتيح الغيب: ٢٥/١٤٦، والبحر المحيط: ٨/٤٥٠، ونظـــم الدرر: ٦/٦٨ ، وإرشاد العقل السليم: ٧/٨٩، وروح المعاني: ١١/١٤٢، والتحرير والتنوير: ٢١/٢٥٠.

(٦) سورة الكوثر:٢.

(٧) البيضاوي:٣/٥٧٦.

(٨) حاشية شيخ زادة:٤/٦٠٦.

الصلاة ،أَوَّلُهُ لما عَرِفْتَ أمثاله من أمر المتلبس بالفعل وتأويله بالدوام والثبات"(١) والشهاب — على غير عادته — يوضح هنا الغرض البلاغي للأمر، ثم يذكر القاعدة البلاغية له، وذلك فى قوله" أَوَّلُهُ لما عَرِفْتَ أمثاله من أمرالمتلبس بالفعل..الخ". ومما ذكره الشهاب فى حاشيته للدوام و لم يشر إليه شيخ زادة قوله تعالى"يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ"(٢) قال البيضاوي "أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها"(٣) قال الشهاب" قوله: أمرت بالصلاة الخ ،والمراد المواظبة على ذلك بحيث تعد من جملة المصلين وتنسب إليهم"(٤) وما ذكره قال به الرازي(٥). ومما ذكره الشهاب فى حاشيته لمعنى الدوام — أيضا — ما جاء فى قوله تعالى "وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ"(٦) حيث قال البيضاوي "فاهجر العذاب بالثبات على هجرما يؤدي إليه من الشرك وغيره من القبائح"(٧) قال الشهاب فى أحد قوليه" المراد الدّوام على هجره وهو الذي عناه المصنف بقوله :بالثبات الخ"(٨)، وما ذكره الشهاب قال به العلماء(٩).

التسخيروالتكوين:

من المعانى البلاغية التى ذكرها كل من زادة و الشهاب لأسلوب الأمر فى حاشيتيهما التسخيروالتكوين، وقبل الشروع فى عرض ماذكراه، أجد تتميما للفائدة الوقوف على دلالتي التسخيروالتكوين؛وذلك لما لهما من تداخل فى كتب المفسرين والبلاغيين؛ نظرا للتقارب الشديد بين الدلالتين، فالتسخيرلغة: التذليل والإهانة(١٠) والتكوين لغة: الحدث،وقد كان كونا وكينونة، وكون الله الشيئ: أحدثه،والله مكون الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود(١١) أما التسخيرعند جل البلاغيين هو: التبديل من حالة إلى أخرى فيها مهانة ومذلة،ويستشهدون بقوله تعالى"كُونُواْ قِرَدَةً

---

(١) الشهاب:٨/٤٠٣.

(٢) سورة آل عمران:٤٣.

(٣) البيضاوي:١/٢٦٠.

(٤) الشهاب:٣/٢٦،٢٥، بتصرف قليل.

(٥) مفاتيح الغيب:٨/٢١٨.

(٦) سورة المدثر:٥.

(٧) البيضاوي:٣/٤٦٥.

(٨) الشهاب:٨/٢٧٢.

(٩) الكشاف:٤/٦٤٥،ومفاتيح الغيب:٣٠/٧٠٠،والبحر المحيط:١٠/٣٢٦،وإرشاد العقل السليم:٩/٥٥،وروح المعانى:١٥/١٣٢.

(١٠)ينظر لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري:(سخر) - دار صادر — بيروت- ط أولى — د.ت.

(١١) السابق،مادة:كون.

خَاسِئِينَ"(١)فى حين أن العلامتين عبد الحكيم والعصام يميلان إلى اعتماد الدلالة اللغوية للتسخير(٢) وعلى هذا يكون التسخيرعندهما أعم من التكوين(٣)والصواب أن التكوين أعم من التسخير،كما نص على ذلك علماء البلاغة المتأخرون(٤) والفرق بين التكوين والتسخير- كما ذكرابن يعقوب المغربي، وتابعه بعض البلاغيين-"أن التسخير تبديل من حالة إلى أخرى أخس منها، والتكوين إنشاء من عدم لوجود،ويوجد استعمال الأمرفيه كقوله تعالى"كُنْ فَيَكُونُ"(٥) والتعبير عن الإيجاد بـــ"كن"إيماء إلى أنه يكون فى أسرع لحظة،وأنه طائع لما يراد،فكأنه إذا أمر ائتمر،ويحتمل أن يكون التكوين أعم بـــأن يراد به مطلق التبديل إلى حالة لم تكن،ويراد بالتسخير ماتقدم، أى التبديل من حالة إلى أخرى فيهـــا مهانة ومذلة (٦).

وحيث يعد معنى الإلهام من دلالات التسخيرفى القرآن الكريم ،فإنه ممـــا ذكـــره زادة والشـــهاب فى حاشيتيهما للأمر المفيد للإلهام- وقد تباينت فيه وجهتا نظريهما حوله- ما جـــاء فى قولـــه تعـــالى" وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُـــلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"(٧) يقول البيضاوي" يخرج من بطونها،كأنه عدل به عـــن خطـــاب النحـــل إلى خطاب الناس؛لأنه محل الإنعام عليهم والمقصود من خلق النحل وإلهامه لأجلهم"(٨) ويقـــول شـــيخ زادة"قوله:كأنه عدل به عن خطاب النحل،على طريـــق الأمرالتكليفـــي إظهـــاراً لكمـــال قدرتـــه

---

(١) سورة البقرة:٦٥.

(٢) انظرحاشية السيالكوتى على المطول:٣٩٩،و الأطول:٢٤٨/١،وينظر:أساليب الأمر والنهى فى القرآن الكريم وأسرارها البلاغية:١٧٥،١٧٦.

(٣) يقول عبد الحكيم و"التسخير"أى جعله مسخرا منقادا لما أمر به،فإن إيجاب شيئ لاقدرة على المخاطب عليـــه بحيث يحصل عقيبه من غير توقف يستلزم تسخيره لذلك.حاشية عبـــد الحكـــيم علـــى المطـــول:٣٩٩.ويقـــول العصام:ويعرف التسخير من الإهانة بأنه فى التسخير لاينفك الأمر عن الانقياد،وفى الإهانة لايتحقق المـــأمور.ينظر الأطول:٢٤٨/١.

(٤) انظر شروح التلخيص:٣١٧/٢.،والإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي،تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم:٢٤٤/٣- مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة – ط أولى – ١٣٨٧هـــ،١٩٦٧م،ومعتـــرك الأقران فى إعجاز القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق/ على محمد البجاوي:٤٤٢/١- دار الفكـــر العربي – القاهرة – د.ت.

(٥) سورة البقرة من الآية:١١٧.

(٦) مواهب الفتاح،وحاشية الدسوقي (ضمن شروح التلخيص):٣١٧/٢.

(٧) سورة النحل:٦٨،٦٩.

(٨) البيضاوي:٢٧٠/٢.

ووحدانيته،وتخلص منه إلى خطاب الناس وامتنانه بما أنعم عليهم بخلق النحل وإلهامه لأجل انتفاعهم،والظاهرأن توجه الأمر والتكليف إلى البهائم كما فى هذه الآية،وفى قوله تعالى"يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ"(١) على طريق التمثيل شبه خلق الله - تعالى - إياها على غرائز وطباع توجب ما أسند إليها من الأحوال بأمرها،وتكليفها فعبرعن المشبه بلفظ المشبه به،وإن كان لايبعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول تصلح بها لأن يتوجه إليها من الله - تعالى - أمرونهي"(٢)

وقال الشهاب"وقوله:لأنه محل الإنعام عليهم، أي لأنّ هذا المحل بسياقه،وسباقه بيان لنعم الله على الناس،وأنهم المقصودون من خلق النحل وإلهامه"(٣) وبالنظرإلى تعليقي زادة والشهاب على الآية الكريمة نجد أن زادة له عدة آراء حول معنى الأوامرالموجهة إلى النحل"اتخذى،كلى،اسلكى"فأورد أنه يفيد الإلهام كما أشار إلى ذلك البيضاوي،ثم ذكرأن فى توجه مثل هذه الأوامرلهذه الكائنات من بهائم وحشرات ونحوه لاينبغى أن يكون على وجه الحقيقة، فجعل ذلك آت عن طريق التمثيل،ثم ذكررأيا آخرمفاده أنها أوامرحقيقية لعدم استبعاد أن يكون لهذه الحيوانات عقولا تستأهل به أن يوجه إليها من الله تعالى أوامرونواه.

بينما رأينا الشهاب يجعل الغرض من تلك الأوامرالإلهام.هذا وقد قال بالإلهام كثيرمن العلماء(٤) ومما ذكراه ما جاء فى قوله تعالى"وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ"(٥) حيث قال البيضاوي"وقوله: كونوا ليس بأمرإذ لا قدرة لهم عليه، وإنما المراد به سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم"(٦) وقال شيخ زادة"وقوله:"وقوله كونوا ليس بأمر" يعنى أنه ليس أمرتكليف بل هو تمثيل لنفاذ إرادته — تعالى — وتأثيرقدرته فى تكون المراد بأمرالآمرالمطاع للمأمورالمطيع فى سرعة حصول المأموربه عقيب الأمرمن غيرامتناع وتوقف، فعبرعن سرعة التكوين وتأثيرالقدرة والإرادة من غيرلبث وتوقف فى الأمر المستعقب لحصول المأموربه"(٧) وقال الشهاب"قوله :كونوا ليس بأمرإذ لا قدرة لهم عليه الخ،هذا بناءعلى أنه مسخ حقيقي،ولم يبينه

---

(١) سورة النمل من الآية:١٨.

(٢) حاشية شيخ زادة:١٨٨/٣.

(٣) حاشية الشهاب:٣٤٩/٥.

(٤) ينظربحر العلوم: ٢٨١/٢، والكشاف: ٦١٨/٢، والمحرر الوجيز: ٤٠٦/٣، ومفاتيح الغيب: ٢٣٦/٢٠، والبحر المحيط: ٥٥٩/٦، ونظم الدرر: ٢٨٦/٤، وإرشاد العقل السليم: ١٢٥/٥، وروح المعانى: ١٨٣/١٤، والتحريروالتنوير: ٢٠٤/١٤.

(٥) سورة البقرة:٦٥.

(٦) البيضاوي:١٠٨/١.

(٧) حاشية شيخ زادة:٣١٨/١.

لشهرته وظهوره من النظم،والأمرعليه ليس تكليفياً بل تكوينيا كما في قولـه تعـالى"كُنْ فَيَكُـونُ "([1])([2]). وتجدرالإشارة إلى أن ابن فارس حينما عرض لمعانى الأمرالبلاغيـة أورد هـذا المعنى،بـل واستشهد بتلك الآية نفسهاعليه وقال"ويكون أمراً، والمعنى تكوين،نحو قوله جلّ ثناؤه" كونوا قِـرَدَةً خاسِئِين" وهذا لا يجوزأن يكون إلا مِن الله جلّ ثناؤه([3]). ،وما ذكره كل من زادة والشـهاب أورده العلماء([4]). ومن ذلك وهو تعليق للشهاب دون زادة على فعلى الأمـر"اهبطوا" فى سـورة البقـرة من خلال قولـه تعـالى" فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُـواْ بَعْضُـكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ"([5]) وقوله سبحانه" قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ"([6]) حيث قـال البيضـاوي" كررللتأكيد أو لاختلاف المقصود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى داربليـة يتعـادون فيهـا ولا يخلدون،والثاني أشعربأنهم أهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك"([7]) وعلق الشهاب قائلا"قوله:أولاختلاف المقصود ..الخ ذكر إهباطهم أوّلاً للتعادي وعدم الخلود فالأمرفيـه تكـوينيّ ، وثانيا ليهتدي من يهتدي ويضل من يضل، فالأمر فيه تكليفيّ إذ لم يكن لهم تكليف قبله بغير المنع من الشجرة"([8]) وقد خالف الشهاب الرازي فى جعله المراد من الأمر"اهبطوا" للتكوين؛وذلك فى قولـه تعالى"فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ..الآيـة"([9])، إذ جعلـه الـرازي للتكليف،حيث قال"اختلفوا في أن قوله:اهْبِطُوا أمرأو إباحة ، والأشبه أنـه أمـرلأن فيـه مشـقة شديدة؛لأن مفارقة ما كانا فيه من الجنة إلى موضع لا تحصل المعيشة فيه إلا بالمشقة والكد من أشـق التكاليف"([10]) وقد يلحظ من وراء كلمة "الأشبه" فى القول السابق للرازي مايوحى بعـدم الجـزم واليقين للمعنى البلاغـي الـذى جعلـه لأسـلوب الأمر"اهبطوا"،هـذا وممـن قـال بـالتكوين

(١)سورة البقرة من الآية:١١٧.

(٢) حاشية الشهاب:٢/١٧٥.

(٣) الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها لابن فارس- تعليق/أحمد حسن بسج:١/٤٦- دار الكتب العلمية- بيرت - لبنان- ط أولى — ١٤١٨هـ،١٩٩٧م.

(٤) ينظر المحرر الـوجيز:١/١٦٠،ومفـاتيح الغيـب:٣/٥٤١، ،وإرشـاد العقـل السـليم:١/١١٠، وروح المعانى:١/٢٨٣،والتحريروالتنوير:١/٥٢٧.

(٥) سورة البقرة:٣٦.

(٦) سورة البقرة:٣٨.

(٧) البيضاوي:١/٩١.

(٨) الشهاب:٢/١٤٠،١٤١.

(٩)سورة البقرة من الآية:٣٦.

(١٠) مفاتيح الغيب:٣/٤٥٥.

البقاعي([1])،وقدوافق الآلوسي والطاهربن عاشورالشهاب فيما ذهب إليه([2]). ومن ذلك أيضا- إلا أن زادة لم يشرإليه- ما ورد فى قوله سبحانه" فَلَمَّاعَتَوْاْعَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ"([3]) حيث قال البيضاوي" قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ"كقوله "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ"([4])([5]) فقال الشهاب"وقوله:إنما قولنا الخ سيأتي في تفسيرسورة النحل، يعني أنّ الأمر تكويني لا تكليفي؛لأنه ليس في وسعهم حتى يؤمروا به"([6]) ومن ذلك قوله تعالى"قُلْنَا يَا نَارُكُونِي بَرْداًوسَلاماً على إبراهِيم"([7]) يقول البيضاوي" جعل النارالمسخرة لقدرته مأمورة مطيعة"([8]) قال الشهاب" قوله:جعل النار المسخرة ،أي المنقادة لقدرته وهو إشارة إلى أنّ الأمر مجازعن التسخيركما في قوله:" كُونُواْ قِرَدَةً([9])"..... والمتسخيرهناهوالتكوين"([10]) فلم يكتف الشهاب بالاستشهاد بآية الأعراف التي أوردها من قبل شاهداعلى إفادة التكوين، بل يقررويصرح بقوله"والتسخيرهناهوالتكوين"([11]) ومما ذكره الشهاب فى حاشيته للأمرالمفيد للتسخير ما ورد فى قول الحق سبحانه " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ"([12]) حيث قال البيضاوي"بما خلقت فيكما من التأثيروالتأثر،وأبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة"([13]) وقال الشهاب" قوله:بما خلقت فيكما من التأثيروالتأثرالخ،..... والضميرللأرض والسماء والمعنى ليس على إتيان فاقهما،وإيجادهما بل إتيان ما فيهما مما ذكر بمعنى إظهاره والأمر للتسخير"([14])وما ذكره الشهاب قال به العلماء([15]). ومما ذكره الشهاب فى حاشيته للأمرالمفيد للتكوين، ولم يشر إليه زادة

---

(١) ينظر نظم الدرر:١/١٠٩.

(٢) ينظر روح المعاني:٢٣٨،والتحريروالتنوير:١/٤٣٥.

(٣) سورة الأعراف:١٦٦.

(٤) سورة النحل:٤٠.

(٥) البيضاوي:١/٥٧٩.

(٦) الشهاب:٤/٢٣٠.

(٧) سورة الأنبياء:٦٩.

(٨) البيضاوي:٢/٤٢٥.

(٩) سورة الأعراف من الآية:١٦٦.

(١٠) ينظر الشهاب:٦/٢٦٣.

(١١) السابق:٦/٢٦٣.

(١٢) سورة فصلت:١١.

(١٣) البيضاوي:٣/٢٢١.

(١٤) الشهاب:٧/٣٩١.

(١٥) ينظرالكشاف:٤/١٨٩،ومفاتيح الغيب:٢٧/٥٤٨،والبحر المحيط:٩/٢٨٩،ونظم الدرر:٦/٥٥٧،وروح المعاني:١٢/٣٥٥،والتحريروالتنوير:٢٤/٢٤٧.

ماجاء في قول الحق سبحانه "قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ"(١) حيث قال البيضاوي"كن فيكون ،إشارة إلى أنه – تعالى – كما يقدرأن يخلق الأشياء مدرجا بأسباب ومواد يقدرأن يخلقها دفعة من غيرذلك"(٢) وقال الشهاب"قوله:إشارة إلى أنه تعالى الخ ،يعني أنّ قوله تعالى "كُن فَيَكُونُ "تمثيل لسرعة تكوينه من غيرتوقف على شيء آخر"(٣)

التعجيز:

من المعاني البلاغية التي ذكرها كل من زادة والشهاب لأسلوب الأمرفي حاشيتيهما التعجيز. فمن ذلك ما جاء في قول الحق جلّ ثناؤه"وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ"(٤).

أولاً:قال البيضاوي في سياق تعليقه على فعل الأمر"فأتوا":"من مثله صفة سورة ،أي بسورة كائنة من مثله،والضميرلما نزّلنا،ومن للتبعيض،أو للتبيين، وزائدة عند الأخفش،أي بسورة مماثلة للقرآن العظيم في البلاغة وحسن النظم"(٥) وقال شيخ زادة"فأتوا" أمرقصد به تعجيزهم باعتبارالمأتى به"(٦) وقال الشهاب" قوله:أو للتبيين ..... الخ ،فالسورة المفروضة التي تعلق بها الأمر التعجيزي هي مثل المنزل في النظم وغرابة البيان.....فالأمرهنا تعجيزيّ باعتبار المأتي به،والذوق شاهد بأنّ تعلق من مثله بالإتيان يقتضي وجود المثل ورجوع العجزإلى أن يؤتي منه بشيء"(٧) احتوت هذه الآية الكريمة على فعلي أمر،الأول"فأتوا"،والثاني"ادعوا"وكلاهما أفاد معنى التعجيز، إلا أن الثاني صحبه معنى الإرشاد. أما شيخ زادة فقد اكتفى بالنص على المعنى البلاغي للأمر"فأتوا"بأنه مفيد للتعجيز. بينما لم يكتف الشهاب هنا بالنص على معنى التعجيز،إذ تعدى ذلك إلى الإشارة لما يدعم ويقوى ما ارتآه،فينقل من الزمخشري قوله"وذكرالمثل لما لامثل له أدخل في التعجيزوأقوى كما ذكره الزمخشري في قوله– تعالى– في هذه السورة "فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ...."الآية(٨) حيث قال"إنه من باب التبكيت؛لأنّ دين الحق واحد لا مثل له،وتبعه المصنف – رحمه الله – فلنجعل ما نحن فيه كذلك،ويسترسل الشهاب

---

(١) سورة آل عمران:٤٧.

(٢) البيضاوي:١/٢٦٢.

(٣) الشهاب:٣/٢٧.

(٤) سورة البقرة:٢٣.

(٥) البيضاوي:١/٦٤.

(٦) حاشيته:١/١٩٤.

(٧) ينظرالشهاب:٢/٣٦،٣٥.

(٨) سورة البقرة من الآية:١٣٧.

فيقول" ثم إنه سنح لي هنا:أنّ المراد التحدّي وتعجيز بلغاء العرب المرتابين فيه عن الإتيان بما يضاهيه فمقتضى المقام أن يقال لهم معاشر فصحاء العرب المرتابين في أنّ القرآن من عند الله ائتوا بمقدار أقصر سورة من كلام البشر محلاة بطراز الإعجاز ونظمه"هذا وما ذكره كل من زادة والشهاب لمعنى التعجيز قال به العلماء(١)وأضاف الآلوسي قائلا"والأمرمن باب التعجيزوإلقام الحجركما في قوله تعالى"...فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ..الآية"(٢)،أما الطاهر بن عاشورفسكب التعجيز على الكلام كله فقال"الكلام مسوق مساق التعجيز"(٣). ثانياً: تحدث البيضاوي عن فعل الأمرالثاني(ادعوا) حيث قال"والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم أورجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله – سبحانه وتعالى – فإنه لا يقدرعلى أن يأتي بمثله إلا الله"(٤) وقال الشهاب" قوله والمعنى وادعوا للمعارضة.... الخ ،الأمرللتعجيزوالإرشاد وهو المناسب لمقام التحدي فلذا كان أرجح"(٥) والحق أن شيخ زادة لم يشرإلى أي معنى بلاغي للأمر"ادعوا" بينما تجدالشهاب هنا يحدد المعنى البلاغي للأمر،مع أن البيضاوي لم يشرإليه، بل يزيد الشهاب الكلام إجلاء وتقريرا فيرجح هذا المعنى البلاغي على غيره متكئا فيما ذهب إليه على المقام، ولاغروفالمقام هو الركن الشديد في مثل تلك الأمور،والحق أن الشهاب فيما ذهب إليه ورجحه نص على أن ذلك هوما ارتآه الزمخشري، حيث قال:هذا آخرالوجوه في الكشاف وهو أرجحها؛ ولذا قدّمه المصنف – رحمه الله – وهو موافق معنى لقوله تعالى : { قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا"(٦)(٧). هذا وقد علق ابن المنيرعلى علة الترجيح فقال"ومعنى هذا الترجيح أن المتحدى عليهم في التفسيرالأوجه جملة المخاطبين،أي أنهم باجتماعهم ومظاهرة بعضهم بعضا،عجزة عن الإتيان بطائفة منه"(٨). ومن التعجيزالذى ذكراه في حاشيتيهما لمعنى الأمرما جاء في قوله تعالى،"وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"(٩) قال البيضاوي" قال أنبئوني بأسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة"(١٠) وقال شيخ زادة"أنبئوني بأسماء هؤلاء"أمرتعجيز وتبكيت يظهربه فضل آدم على الملائكة –عليه،وعليهم السلام– فضلا راجحا على مافيه

(١) ينظر الكشاف:١/١٠٠،والبحر المحيط:١/١٧٠،ونظم الدرر:١/٦٣.

(٢) سورة البقرة من الآية:٢٥٨، و وروح المعاني:١/١٩٦.

(٣)التحرير والتنوير:١/٣٣٨.

(٤) البيضاوي:١/٦٥.

(٥) ينظر الشهاب:١/٤٤.

(٦) سورة الإسراء:٨٨.

(٧) ينظر الشهاب:١/٤٤، والكشاف:١/١٠٠،١٠١.

(٨) حاشية الإمام العلامة أحمد بن محمد ، المعروف بابن المنير على تفسير الكشاف:١/٩٨– دار الكتاب العربي — بيروت — ١٤٠٧هـ.

(٩) سورة البقرة:٣١.

(١٠) البيضاوي:١/٨٥.

من المفاسد بحيث لا ينظر إليها فى جنبه"(١)وقال الشهاب" قوله:تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم ،إشارة إلى أنّ الأمر هنا تعجيزي ،والتبكيت غلبة الخصم بالحجة ولا يصح أن يكون للتكليف في هذا المحل حتى ينبني على مسألة تكليف ما لا يطاف المختلف فيها"(٢) فقد أبان زادة أن إفادة الأمر"أنبئونى"للتعجيز،وأنه من خلال هذا المعنى ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة. أما الشهاب فيذكرالغرض البلاغي للأمروهو التعجيز،ثم يشرع فى شرح معنى التبكيت الذى أورده البيضاوي،ثم يؤكد معنى التعجيزبأن الأمرهنا لايمكن حمله على معنى التكليف؛فإن الأسماء المختلف فيها لايمكن الإطافة بها، ولو كان يمكن ذلك لصارالأمرتكليفيا. ومما ذكراه للتعجيز فى حاشيتيهما ماجاء فى قوله تعالى" أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَتُنظِرُونِ"(٣) حيث قال البيضاوي" قل ادعوا شركاءكم ،واستعينوا بهم في عداوتي"(٤) وقال زادة:"قُلِ ادْعُواْ...الآية،يريد أن قد ذممت أصنامكم،وسفهت عقولكم وأخلاقكم،فاقصدون بما شئتم من الكيد،واستعجلوا فيه ولا تمهلوا،فإن لا أخافكم ثقة بالله الذى هو منفرد بالقدرة على النفع والضروالخيروالشر،ولا يقول مثل هذا الكلام إلا الواثق بعصمة الله تعالى"(٥) وقال الشهاب"قوله واستعينوا بهم الخ،أي دعوهم إلى ذلك بقرينة ما بعده،والأمر للتعجيز"(٦) فالتعجيز للأمر"ادعوا"فى الآية الكريمة فهم بالفحوى عند شيخ زادة، أما الشهاب فقد نص عليه نصا، وما فهم بالفحوى، وذكر بالنص قال به العلماء(٧). ومما ذكره الشهاب من معنى التعجيز فى حاشيته، ولم يشر إليه شيخ زادة ما ورد فى قوله تعالى"مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ*أَفَلَا تَذَكَّرُونَ*أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ*فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"(٨) حيث قال البيضاوي"مالكم كيف تحكمون " بما لايرتضيه عقل....."فأتوابكتابكم "الذى أنزل عليكم"(٩) علق الشهاب قائلاً"قوله مالكم .....الخ،الأمرفي قوله فأتوا للتعجيز"(١٠). ومما يسترعى الانتباه هنا أن البيضاوي لم يشر إلى المعنى البلاغي للأمر"فأتوا" بينما تكفل بذلك الشهاب.

(١) حاشيته:١/١٥٢.

(٢) الشهاب:٢/١٢٦.

(٣) سورة الأعراف:١٩٥.

(٤) البيضاوي:١/٥٨٩.

(٥) حاشيته:٢/٣٩١.

(٦) الشهاب:٤/٢٤٦.

(٧) المحرر الوجيز:٢/٤٨٩،وينظر مفاتيح الغيب:١٥/٤٣٣،والبحر المحيط٥/٢٥٢،والتحرير والتنوير:٩/٢٢٣.

(٨) سورة الصافات الآيات: ١٥٤- ١٥٧.

(٩) ينظر البيضاوي:٣/١٦١.

(١٠) ينظر الشهاب:٧/٢٨٩.

الخاتمة

فبعد تلك المعايشة الشائقة والممتعة فى آن واحد مع المعانى البلاغية لأسلوب الأمرالتى ذكرها كل من شيخ زادة والشهاب فى حاشيتيهما على تفسيرالبيضاوي يمكن القول بأن البحث خلص إلى عدة نتائج من أبرزها:

- تعدد المعانى البلاغية للأمرالتى ذكرها زادة والشهاب فى حاشيتيهما حيث شملت: الإباحة، والتسوية، والتخيير، والوعيد والتهديد، والتخلية، والدعاء، والدوام، والتسخيروالتكوين،والتعجيز. - أن من المعانى السابقة للأمرما ورد مستقلا بنفسه، ومنها ماجاء مصحوباً بغيره من المعانى،وقد يرد الأمر- أحيانا- محتملا أحد معنيينْ وهكذا. - وجود تفاوت فى التعليق بين "زادة"و"الشهاب"فى كثيرمن المعانى البلاغية التى ذكراها للأمر،وكأنهما- على تباعدْ زمانيهما- قد تبادلا الحديث عن هذا الأمرأوذاك،فمثلا هناك مواطن تجد فيها شيخ زادة يبدى فيها ويعيد،ويحلل ويعلل ويدلل،وفى مواطن أخرى يكتفى باللمحة وبالإشارة، وفى المقابل تجد الشهاب موجزا فى الموضع الذى أطنب فيه زادة،والعكس بالعكس،ومن هذه المواضع على سبيل المثال لا الحصرماورد فى معنى التهديد فى قوله تعالى: "لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ"(١) فقد أوجززادة، بينما الشهاب علل واحترزومثَّل(٢).-كثيراما يستشهدان للمعانى البلاغية التى يذكرانها بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار، وأقوال العلماء والمفسرين، وقد يستلزم المقام الاستشهاد بكتب الفقه والأحكام،كما فى معنى الإباحة فى آية الجمعة(٣).- قد يذكركل من زادة والشهاب معنى من المعانى البلاغية للأمر،ويضيف أحدهماْ معنى بلاغيا آخر لم يذكره صاحبه(٤) - فى مواطن كثيرة لاينص البيضاوي على المعنى البلاغي للأمر، فتجد زادة والشهاب،أو أحدهما يذكرانه. - مما ذكره الشهاب فى حاشيته أنه صرح بأن البيضاوي يجيزالجمع بين الحقيقة والمجاز(٥). - قليلا ما يتفق زادة والشهاب فيذكران المعنى البلاغي للأمر،وكثيرا ماتجد الشهاب يذكرالمعنى البلاغي،بينما لا يذكرشيخ زادة هذا المعنى من قريب أو بعيد(٦) وقد يذكرزادة ويهمل الشهاب(٧). - وردت عندكل من زادة الشهاب- فى ثنايا تحليلاته للوقوف على المعنى البلاغي للأمر- كثيرمن المصطلحات البلاغية والنقدية، من قبيل

---

(١) سورة النحل:٥٥.

(٢) ينظر البحث:٢٨،٢٩.

(٣) ينظر السابق:١٧،١٨.

(٤) ينظر السابق:٢٨.

(٥) البحث:٣٣.

(٦) ينظر البحث على سبيل المثال لا الحصر:١٩،٢٠،٢٧.

(٧) السابق:٣٠

"الذوق، سلامة الذوق، السياق،المقام"(١) من المصطلحات البلاغيةوالنقدية،من قبيل"الذوق،سلامة الذوق،السياق،المقام"(٢) – قد يعتمد الشهاب على قراءة من القراءات فيردد الأمربين معنيين بلاغيين دون ترجيح أحدهما على الآخر،وذلك كما جاء فى قوله سبحانه"وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ"(٣)(٤).

— قد يقف كل من زادة والشهاب على المعنى البلاغي للأمرمن خلال نظرة كل منهما إلى دلالة كلمة لها علاقة بالأمر(٥)— فى بعض المواطن قد يتفق زادة مع البيضاوي حول المعنى البلاغي للأمر،بينما يخالفهما الشهاب(٦).— يوضح زادة المعنى البلاغي للأمر من خلال شرحه قول البيضاوي،ثم تجد الشهاب يكررمضمون ماذكره زادة.

****

" .... وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"

واللـــه الموفق

(١) السابق:١٨،٢٠،٤٤.

(٢) السابق:١٨،٢٠،٢٩،٤٤.

(٣) سورة الأنعام:١١٣.

(٤) البحث:٣١.

(٥) ينظر السابق:١٦.

(٦) السابق:١٨.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي،تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم- مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة – ط أولى – ١٣٨٧هـ،١٩٦٧م.

٢- أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر،تحقيق/محمدالصادق قمحاوي - دارإحياء التراث العربي– بيروت-١٤٠٥هـ.

٣- الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرةالبخاري، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي:١/١٠٩ - دار البشائرالإسلامية – بيروت- ط ثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى بتفسيرأبي السعود- دارإحياء التراث العربي– بيروت- د.ت.

٥- أساليب بلاغية د/أحمد مطلوب- وكالة المطبوعات – الكويت – ط أولى ١٩٨٠م.

٦- الأطول على التلخيص ،لعصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفرائيني – طبع بالمطبعة العامرة ١٢٨٤هـ.

٧- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي- دار العلم للملايين- ط الخامسة عشرة – ٢٠٠٢م.

٨- الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزويني- دار إحياء العلوم – بيروت- ط الرابعة – ١٩٩٨م.

٩- بحرالعلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي تحقيق/محمود مطرجي- دار الفكر– بيروت- د.ت.

١٠-البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي،تحقيق/صدقى محمد جميل- دار الفكر– بيروت – ١٤٢٠هـ.

١١- البداية والنهاية، أبو الفداء عماد الين إسماعيل بن كثير، ط ثانية – مكتبة المعارف – بيروت – ١٩٧٩م.

١٢- البدرالطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني- منشورات دار الكتاب الإسلامي- د.ت.

١٣- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي،تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر- ط ثانية – ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

١٤- البلاغة فى تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات القرآنية د/محمد أبو موسى – القاهرة – دار الفكر العربي – د.ت.

١٥- تجريد العلامة البناني على مختصر السعد- طبع بمطبعة محمد على صبيح وأولاده — القاهرة- ط أولى ١٣٤٧هـ.

١٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي- الدار التونسية للنشر— تونس- ١٩٨٤م.

١٧- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل،للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تحقيق/محمد صبحي حسن حلاق،ود/محمود أحمد الأطرش- دار الرشيد- دمشق- بيروت- ط أولى ١٤٢١هـ ،٢٠٠٠م.

١٨- تقرير الشمس الإنبابي على شرح سعد الدين التفتازاني- طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ هـ .

١٩- جامع البيان فى تفسير القرآن لجعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق/ مكتب التحقيق بدارهجر - دارهجر- ط أولى- د.ت.

٢٠- الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - تحقيق د/ مصطفى ديب البغا - دارابن كثير- اليمامة — بيروت — ط ثالثة - ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢١- حاشية الإمام العلامة أحمد بن محمد،المعروف بابن المنيرعلى تفسير الكشاف- دار الكتاب العربي — بيروت -١٤٠٧هـ.

٢٢- حاشية السيد الشريف على المطول - د.ت.

٢٣- حاشية عبد الحكيم السيالكوتى الهندي على المطول -دار الطباعة العامرة- ١٢٦٦هـ .

٢٤- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضي على تفسيرالبيضاوي - دار صادر - بيروت — د.ت.

٢٥- حاشية محيي الدين شيخ زادة محمد محيي الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوى على تفسير البيضاوي- مطبعة مكتبة الحقيقة-تركيا- استانبول-١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٦- خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، محمد الأمين المحبي- مكتبة الخياط — بيروت — د.ت.

٢٧- دائرة المعارف الإسلامية، تعريب/أحمد الشنتناوي،ومحمد ثابت الفندي وإبراهيم زكى خورشيد، وعبد الحميد يونس- مصر — ١٩٣٣- ١٩٧٥م.

٢٨- دلالات التراكيب - دراسة بلاغية، د/ محمد أبوموسى- مكتبة وهبة - ط ثانية — ١٤٠٨هـ،١٩٨٧م.

٢٩-ديوان كثير عزة جمع وشرح د/إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت — لبنان - ١٣٩١هـ،١٩٧١م.

٣٠- روح المعاني في تفسيرالقرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ،تحقيق/على عبد البارى عطية- دار الكتب العلمية - بيروت — ط ١٤١٥هـ.
٣١- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للشهاب الخفاجي،تحقيق/ عبد الفتاح الحلو- مطبعة عيسى البابي الحلبي- ط أولى — ١٩٦١م.
٣٢- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لأبى الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي - دارالمسيرة — بيروت— ط ثانية — ١٩٧٩ م.
٣٣- شروح التلخيص - طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر- د.ت.
٣٤- الصاحبي فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها لابن فارس- تعليق/أحمد حسن بسج- دار الكتب العلمية- بيرت - لبنان- ط أولى — ١٤١٨ هـ،١٩٩٧م.
٣٥- صحيح البخاري بشرح الكرماني- دارإحياء التراث العربي — بيروت - لبنان- ط أولى ١٣٥٦هـ ،١٩٣٧م.
٣٦- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على السبكي، تحقيق/عبد الفتاح الحلو،ومحمود محمد الطناحي- مطبعة عيسى البابى وشركاه — ط أولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
٣٧-طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنروي ،تحقيق/ سليمان بن صالح الخزي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة-ط أولى١٩٩٧.
٣٨- الغاية القصوى فى دراية الفتوى تحقيق/محيى الدين على القرة داغي- د.ت.
٣٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط أولى- ١٤١٦ هـ ،١٩٩٦م. ٤٠- فى ظلال القرآن ،سيد قطب إبراهيم - دار الشروق- القاهرة- د.ت.
٤١- الكافى فى القراءات السبع لأبى عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، تحقيق/ أحمد محمود عبد السميع الشافعى -دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط أولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٤٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، للزمخشري- دار الكتاب العربي— بيروت- ١٤٠٧هـ.
٤٣- لسان العرب لابن منظور— دارصادر— بيروت- ط أولى -- د.ت.
٤٤- المبسوط لشمس الدين السرخسي - بيروت — لبنان — د.ت.
٤٥- المجاز فى اللغة والقرآن الكريم د/عبد العظيم المطعني- مكتبة وهبة- ط أولى — د.ت.

٤٦- المحررالوجيزفي تفسيرالكتاب العزيزلأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي،تحقيق/عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م .

٤٧- معاني القرآن للفراء،تحقيق/أحمد يوسف نجاتي وآخرين - الدارالمصرية للتأليف والترجمة - د.ت.

٤٨- ينظرمعاني القرآن وإعرابه للزجاج ،تحقيق د/عبد الجليل عبده شليبي- عالم الكتب - بيروت - ط أولى -١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤٩- معترك الأقران فى إعجاز القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق/على محمد البجاوي- دار الفكر العربي - القاهرة - د.ت.

٥٠- معجم البلدان لياقوت الحموي- دارصادر- بيروت-١٣٩٧هـ،١٩٧٧م.

٥١- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة،عمررضا كحالة- المكتبة الهاشمية- دمشق - ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

٥٢- مفاتيح الغيب لفخرالدين الرازي،دارالكتب العلمية،بيروت- ط أولى؛ ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٥٣- موطأ الإمام مالك بن أنس أبي عبد الله الأصبحي- رواية محمد بن الحسن - تحقيق د/ تقي الدين الندوي - دار القلم - دمشق- ط أولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩١م.

٥٤- نظم الدررفى تناسب الآيات والسورلبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق/عبدالرازق غالب المهدي - دارالكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

الرسائل العلمية:

١- أساليب الأمروالنهى فى القرآن الكريم وأسرارها البلاغية"رسالة ماجستير "للباحث/يوسف عبد الله الأنصاري - بكلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - السعودية -١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

****